الإسلام والعالم
بين التسامح والتعصب

رمضان أحمد عبد ربه عصفور
من علماء الأزهر الشريف

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ٦٤]

إلى أبناء أمتي :

* رؤساء وأمراء......

* شعوبا وقبائل .....

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعـــد

الإسلام مبادىء وأحكام سامية منظمة لأحوال البشر مؤدية إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. ولذلك فإنه من حق الإسلام أن يُهيأ له فرصة نشر مبادئه وأحكامه لتتحقق سعادة البشرية. وليستقر الأمن والسلام في العالم كله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لذا بعث الله تعالى الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم موضحاً له الطريقة المثلى لتبليغ دعوته وبيان رسالته. وقال له: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥] وأمره بالدعاء لهم لكي يهديهم الله تعالى إلى اتباع سبيل المهتدين في هدوء وطمأنينة وسلام فقال له: ﴿ **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

واستجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه عز وجل. وأخذ يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. فتبعه من القوم الضعفاء والكبراء ولم يسلموا من جبروت الطغاة الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله. واشتد عنادهم ولقى المسلمون الكثير من الأذى.

ولما جاءهم الحق عموا وصموا. تغير المنهج الإلهى فأضاف وسيلة جديدة تكون هى الأخرى من وسائل تبليغ الحق. فأذن الله للمسلمين بالقتال ﴿ **أُذِنَ**

لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ [الحج: ٣٩] فاجتمع لدى الرسول ﷺ وسيلتان يبلغ بهما دعوة الله للخلق أجمعين.

إحداهما: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والثانية: القتال لفرض دعوة الله على هؤلاء الذين يرفضون دعوة الله وينكرون ضوء الشمس فى وضح النهار ويعتدون على الآمنين.

فالقتال فى الإسلام استثناء وليس هو القاعدة. ولم يشرعه الله تعالى للعدوان والبغى وإنما لحفظ الأمن وتثبيت السلام وإقراره. والضرب على أيدى العابثين بحقوق الإنسان فى الحرية والسلام. لكى يعبد ربه عز وجل فى أمن واطمئنان فتتحقق له السعادتان الدنيوية والأخروية قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٧٥، ٧٦].

ويقول عز وجل ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ويخطئ كثيرا من يظن أن كلمة (الجهاد) مرادفة لكلمة (الحرب) وأن الجهاد هو حرب يشنها المسلمون على غير المسلمين لنشر الإسلام، ولكن الجهاد - كما يقول بعض الثقات - هو من ثلاثة أنواع:

١ - ضد عدو واضح العداوة للإسلام والمسلمين.

٢ - ضد الشيطان وجنوده.

٣ - ضد النفس الأمارة بالسوء.

فالجهاد بأغراضه هذه. ليس حربا يشنها المسلمون لنشر عقيدتهم - كما توهم بعض الأوروبيين من المفكرين والسياسيين - فالإسلام دين جهاد وليس دين

حرب تهدد السلام العالمي ولكنه جهاد لرد العدوان وردعه صونا للسلام وتثبيتا له، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال عز وجل: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم** ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقال تعالى: ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ولقد أعمى الحقد على الإسلام قلوب الكثيرين من أعدائه وخاصة فى الغرب. فأظهروا عداوتهم للأمة الإسلامية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر التى لم يعلنوا حقيقة أمرها. بل اتخذوا منها ذريعة لمحاصرة العالم الإسلامى وإرسال الجيوش هنا وهناك وتحالف معهم من يشتركون معهم فى كراهية الإسلام وأهله.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال الله تعالى: ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾.

ويرجع سبب ذلك إلى ما يلى:

أولاً: جهل الغرب وعدم معرفته الصحيحة بأحكام الإسلام وقواعد شريعته.

ثانياً: تقصير المسلمين فى بيان الإسلام وشرح مبادئه وأحكامه فى بلاد الغرب والشرق على حد سواء.

ثالثاً: ظهور بعض الحركات والأفراد المتعصبة ممن لا يفهمون روح الإسلام وسماحته ورحمته. وما علموا أن الإسلام مظلة من الرحمة تظلل البشرية كلها. ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾.

لذلك كان سهلا على غير المسلمين أن يتهموا البلاد الإسلامية ظلما. أنها راعية الإرهاب. والإرهاب ظاهرة عالمية وليس ظاهرة إسلامية. فأمريكا وأوروبا والهند واليابان وغيرهم بلاد مليئة بمنظمات إرهابية خطيرة ولد ذلك كله: الشعور بالظلم وحقد الفقراء على الأغنياء، والإسلام بشريعته السمحة يرفض ذلك كله ويربى أبناءه على الرضا والقناعة والزهد فيما عند الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أبا هريرة أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس).

وكتابنا هذا هو قراءة فى منهج الإسلام. وسوف يرى أخى القارىء عظمة الإسلام ومدي قوته. وسيتبين له أن أعداء الإسلام ينكرون ضوء الشمس وقت الظهيرة وأنهم يغفلون أو يتغافلون فهم الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا. وهم الخاسرون.

لذا يجب على أمة الإسلام أن توحد صفوفها وتوحد كلمتها وتصطلح مع الله تعالى متمسكة بمبادىء دينها. لتدافع عن وجودها وعقيدتها وتقف سداً منيعاً فى مواجهة غارات الغرب الحاقد الذى أصبح يدين للصهيونية بالولاء حتى أنكر أسمى ما تدعو إليه شريعة السيد المسيح عليه السلام.

(الله محبة وبالناس المسرة وعلى الأرض السلام).

فيأمة الإسلام عودوا إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم تظفروا بالسعادة والرضا وتكون لكم الغلبة على عدوكم. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

حدائق القبة	**المؤلف**
أول رجب ١٤٢٣هـ	**رمضان أحمد عبدربه عصفور**

الفصل الأول

قضية الإيمان

الإيمان هو أعظم قضايا العقيدة الإسلامية وأشدها خطرا. والمؤمن هو ذلك العبد الصالح الذى عرف نفسه بذل العبودية فعرف ربه عز وجل بكمال الألوهية فأسلم الوجه لله تعالى وأسجد قلبه للعلى الكبير. فهداه الله تعالى لأحسن الأخلاق. ولا يهدى لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى، وبذلك فاز المؤمنون بالسعادة فى الدارين ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** ﴾.

إن المؤمن بالله تعالى ورسوله ﷺ هو خير الناس عند الله عز وجل. لذلك خص الله المؤمنين بسورتين فى القرآن الكريم. تكريما لهم وعلوا لشأنهم. وهما: سورة المؤمنون وسورة المؤمن وتسمى سورة غافر هذا علاوة على ما جاء من آيات كثيرة وفى سور عديدة تبين لنا صفات المؤمنين ومنازلهم. وتخبرنا بمحبة الله لهم ورضاه عز وجل عنهم ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ والمسلم إذا حافظ على أحكام الله تعالى وعبد ربه بصدق وإخلاص متحليا بالصبر والإتقان صار من المؤمنين الصادقين ورفعه الله إلى الدرجات العلى ومقامات المحسنين «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أما إذا ضيع وتكاسل عن الطاعة فهو من المسلمين ضعيفى الإيمان، سئل رسول الله ﷺ. يا رسول الله: هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: (نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار) لذا آثرنا الحديث عن

حقيقة الإيمان والإسلام والتقوى مع بيان العلاقة بينهم وأثر ذلك فى صحة العقيدة الإيمانية التى تسيطر على حركة العبد. فتجعلها حركة إيمانية مثمرة. تثمر أخلاقاً طيبة فى المعاملة مع الله عز وجل وفى معاملة الآخرين على اختلاف مستوياتهم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وكان خلقه القرآن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه حتى صار قرآنا يمشى بين الناس. ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة.

والمرجع فى هذا كله هو: كتاب الله عز وجل. وسنة نبيه ﷺ ومن شذ عن اتباع هذين المصدرين لأحكام الإسلام، شذ فى النار وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

* * *

١ - أثر الإيمان فى حياة الفرد والمجتمع

إن المؤمنين بالله تعالى المصدقين بنبوة سيدنا محمد ﷺ هم أولئك الذين يطيعون الله عز وجل ورسوله ﷺ ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] إنهم يحرصون على القيام بأوامر الله تعالى وينتهون عما نهى عنه. فى خوف ورجاء وصدق وصبر وإخلاص. يخافون الآخرة ويرجون رحمة الله عز وجل. إن الإيمان بالله تعالى ليس كلمة تقرأ أو تسمع. كما أنه ليس شعاراً يرفع ولكن الإيمان حقيقة لها تأثيرها البالغ والخطير فى نفوس المؤمنين وسلوكهم الطيب الرشيد فى بناء حياتهم الدنيوية والأخروية. مما يكون له أثره فى بناء الفرد والمجتمع. مجتمع الأمن والأمان والحضارة والرفاهية.

لذلك أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدولة الإسلامية على منهج الله عز وجل. حيث قام بتربية أصحابه وأتباعه تربية إسلامية رفيعة. ودعاهم إلى التمسك بالفضائل والقيم والمثل العليا. فكانوا إخوة مؤمنين متحابين تسود بينهم الرحمة والمودة والمعونة والإيثار ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ فحققوا مجتمع الحب والتعاون والتكافل والتضامن والرضا فكانوا سادة الدنيا التى دانت لهم بولائها رغبة وإعجاباً. لا رهبة ولا خوفا لأن الدولة المسلمة حققت العدالة ونشرت مبادىء وقواعد السلم والأمان فعاش الناس فى ظلها - مسلمين وغير مسلمين - فى طمأنينة على يومهم وغدهم وعمل المسلمون لآخرتهم فكانوا عبادا زاهدين. خاشعين متبتلين يطلبون ما عند الله والدار الآخرة. وقد استطاعوا باقتدار أن يؤدوا واجبهم ومسئوليتهم الدينية والدنيوية. وبذلك أصلحوا دينهم ودنياهم لإقامتهم لمنهج الله عز وجل الذى

جاءت الشريعة الإسلامية السمحة تدعو لتطبيقه والالتزام به وما شقيت الأمة الإسلامية وتكالب عليها أعداؤها إلا بتخليها عن منهج الله تعالى: «تركت فيكم ما لو تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى» فما أحوجنا إلى العودة إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا لكي تكون لنا العزة والكرامة التى كانت لأسلافنا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ ولنشرع فى بيان أثر الإيمان فى حياة الفرد والمجتمع.

أولاً: أثر الإيمان فى الفرد المسلم:

١ - المؤمن إنسان واسع النظر. لأنه يؤمن برب العالمين صاحب الملك والملكوت وراعيه. أما من يؤمن بغير الله تعالى. أو يؤمن بتعدد الآلهة: أو بادعاء البنوة لله عز وجل. فهو إنسان ضيق النظر. محدود الأفق. وهذا يعنى قتل الطموح عند هذا الإنسان الكافر الذى لا هدف له إلا فى بناء دنياه والتمتع بشهواتها وملذاتها.

٢ - الإيمان يخلق فى الإنسان عزة النفس. لأنه يؤمن بالله تعالى الواحد الذى هو المالك لما خلق. وأنه تعالى هو النافع الضار والمحيى المميت. وهو على كل شيء قدير. بيده الأمر يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد. وله السيادة والقهر والجبروت.

إن إيمان العبد بالله عز وجل ينشيء عنده الأنفة وعزة النفس والمحافظة على كرامته وكبريائه. وعدم السماح لأحد بالمساس بكرامته أو النيل من حريته.

٣ - الإيمان يخلق فى الإنسان التواضع وحب المتواضعين. لأن الإيمان الصادق يعرف الإنسان بحقيقة نفسه أمام قوة القوى القاهر. لذلك كان التواضع من أفضل صفات المؤمنين الصادقين.

٤ - الإيمان يقتل فى الإنسان روح اليأس والقنوط والضجر. لأن المؤمن يعلم جيداً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. وأن

خزائن الله لا تنفد . ونعمه وآلاؤه لا تعد ولا تحصى وأن فرجه قريب وأن مع العسر يسرا . لذلك فهو يعيش مطمئن القلب هادىء البال مرتاح الضمير .

٥ - الإيمان يدفع صاحبه دائماً إلى العمل الصالح الجاد لخدمة نفسه ولخدمة أمته . فتزكو بذلك نفسه . لأنه يؤمن بالله تعالى الغنى عن عباده . الحكم العدل . الذى لا يجامل أحدا ولا يظلم أحدا ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

٦ - الإيمان يخلق فى الإنسان روح الشجاعة والإقدام وقوة العزيمة والصبر والثبات والمروءة وحسن التوكل على الله تعالى .

٧ - الإيمان يخلق فى المؤمن الترفع عن الدنايا . وينشىء فيه القناعة والبعد عن طلب ما فى أيدى الآخرين . ويطهر قلب المسلم من الأوساخ والقاذورات المعنوية كالطمع والجشع وحب الذات والحقد والضغينة، والحسد والبغضاء، واللؤم والخبث والشره والنهم . فهو بهذا يرفع قدر الإنسان ويعلى من كيانه وشرفه فيجعله محل أحترام وتقدير كل من حوله والمحيطين به .

٨ - والأهم من هذا كله - وكله مهم - أن الإيمان يدفع نفس المؤمن إلى حب الألتزام بأحكام الله تعالى من الأوامر والنواهى . فيكون دائماً حيث أمره الله تعالى ولا يكون حيث نهاه . فيكون بذلك عبدا ربانيا يراقب الله تعالى فى سره وفى علانيته . فى أقواله وأفعاله خشية لله عز وجل واقتداء برسوله ﷺ .

٩ - الإيمان بالله تعالى يرفع صاحبه إلى مصاف العابدين الطائعين المتبتلين المتقين فيكتب فى عليين ويبعث يوم القيامة من الآمنين . اللهم اجعلنا منهم وأذقنا من أنوار محبتهم يارب العالمين .

ثانياً : أثر الإيمان فى إصلاح المجتمع :

إن المجتمع المسلم المؤمن هو الذى يلتزم أبناؤه بتطبيق شريعة الله تعالى وأحكامه فيسود بينهم العدل والمساواة وروح الإخاء وأعلام الحرية ترفرف على جوانبه فتشرئب إليه الأعناق . وتهوى إليه النفوس الطاهرة . ويسعد أبناؤه فى

ظله حيث يسود الأمن والأمان والسلامة والإسلام. وذلك لأنه مجتمع يتميز بما يلى:

١ - لأنه مجتمع يتجه وجهة واحدة نحو خالق الملك والملكوت. من بيده مقادير الأشياء. الرحمن الرحيم. والعزيز الحكيم.

٢ - مجتمع خال من الأمراض الروحية والاجتماعية وتندر فيه الجرائم البشرية.

٣ - مجتمع متعاون ومتضامن تسود فيه المحبة والمودة والعطف والمعونة.

٤ - مجتمع تتحقق فيه العدالة والمساواة والإخاء والحرية.

٥ - مجتمع تتكافأ فيه الفرص.

٦ - مجتمع قوى ومتماسك يأخذ أفراده بكل أسباب القوة والرفعة فتكون لهم دائماً العزة والكرامة.

٧ - مجتمع يبنى ويعمر وينمى نفسه اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكريا لأنه مجتمع متحضر يسعى إلى تحقيق الرفاهية لأبنائه.

٨ - مجتمع يتمسك أفراده بالقيم والآداب والأخلاق والسلوك القويم.

٩ - مجتمع يرهب الأعداء ويحظى بحب الأصدقاء.

١٠ - مجتمع ترفرف عليه الملائكة بأجنحتها وتستغفر لأبنائه فى السموات. داعية العلى الكبير أن يرحم هؤلاء الذين تسعدبهم الأرض التى يعيشون عليها ولا يخلو أى مكان فيها من سجدة أو دعوة أو ذكر لله تعالى. لذلك كانت البقعة التى يعيش عليها المؤمنون مزارا للملائكة. ومحلا لتجلى الذات العليا بالنفحات والهبات والعطايا لخير أمة أخرجت للناس.

لماذا كل هذا؟ لأنه مجتمع المؤمنين الذين صدقوا الله فيما عاهدوا عليه.

* * *

٢ - معنى الإيمان والإسلام والتقوى والصلة بينها

الإيمان : لغة : التصديق .

وشرعاً : تصديق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به عن ربه عز وجل وهذا القدر من التعريف متفق عليه . ثم وقع الاختلاف : هل يشترط مع ذلك مزيد أمر من جهة إبداء هذا التصديق باللسان المعبر عما فى القلب . إذ التصديق من أفعال القلوب . أو من جهة العمل بما صدق به من ذلك . كفعل المأمورات وترك المنهيات .

والكلام هنا فى مقامين أحدهما : كونه قولاً وعملاً . وثانيهما : كونه يزيد وينقص، فأما القول . فالمراد به : النطق بالشهادتين . وأما العمل : فالمراد به : ما هو أعم من عمل القلب والجوارح . ليدخل الاعتقاد والعبادات . ومراد من أدخل ذلك فى تعريف الإيمان ومن نفاه . إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى .

فالسلف قالوا : هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان .

وأرادوا بذلك : أن الأعمال شرط فى كماله . ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص .

والمرجئة قالوا : اعتقاد ونطق فقط . والكرامية قالوا : هو نطق فقط .

والمعتزلة قالوا : هو العمل والنطق .

والفارق بينهم وبين السلف . أنهم جعلوا الأعمال شرطا فى صحته . والسلف جعلوها شرطا فى كماله .

وهذا كله - كما قلنا - بالنظر إلى ما عند الله تعالى .

أما بالنظر إلى ما عندنا . فالإيمان هو : الإقرار فقط . فمن أقر أجريت عليه الأحكام فى الدنيا . ولم يحكم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره

كالسجود للصنم. فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق. فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره. ومن نفى عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله. ومن أطلق عليه الكفر. فبالنظر إلى أنه فعل فعْلَ الكافر. ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته وأثبت المعتزلة: الواسطة وقالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر.

وأما المقام الثاني: فذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص. وأنكر ذلك أكثر المتكلمين. وقالوا: متى قبل ذلك كان شكا. قال الشيخ محيي الدين: والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة. ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره(1).

وقال الأجرى رحمه الله تعالى(2): فاعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن لله عز وجل بعث نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافة ليقروا بتوحيده. فيقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فكان من قال هذا موقنا من قلبه ناطقاً بلسانه أجزأه . ومن مات على هذا فإلى الجنة. فلما آمنوا بذلك. وأخلصوا توحيدهم. فرض عليهم الصلاة بمكة. فصدقوا بذلك وآمنوا وصلوا. ثم فرض عليهم الهجرة فهاجروا وفارقوا الأهل والأوطان. ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان. ثم فرض عليهم الزكاة فآمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما أمروا. ثم فرض عليهم الجهاد. فجاهدوا القريب والغريب وصبروا وصدقوا. ثم فرض عليهم الحج فحجوا وآمنوا به. فلما آمنوا بهذه الفرائض وعملوا بها تصديقا بقلوبهم وقولا بألسنتهم وعملا بجوارحهم. قال الله عز وجل ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

وقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن

---

(1) راجع فتح الباري: ١/ ٣٩، ٤٠. (2) كتاب الشريعة ص: ١٠١، ١٠٢.

محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً)[١] ثم بين النبى ﷺ لأمته شرائع الإسلام حالا بعد حال . ثم قال : وهذا – رحمكم الله تعالى – طريق المسلمين . فإن احتج محتج بالأحاديث التى رويت « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »[٢].

قيل له : هذه كانت قبل نزول الفرائض على ما تقدم ذكرنا له . وهذا قول علماء المسلمين ممن نعتهم الله عز وجل بالعلم وكانوا أئمة يقتدى بهم سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم فى كل بلد أ . هـ.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما[٣] أنه قال فى قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ .

قال : إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله . فلما صدق بها المؤمنون . زادهم الصلاة . فلما صدقوا بها . زادهم الصيام . فلم صدقوا به . زادهم الزكاة . فلما صدقوا بها زادهم الحج . فلما صدقوا به . زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم . فقال جل وعلا سبحانه – ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ وقد ذكر الأجرى فى كتاب الشريعة وابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وغيرهما . كثيرا من النصوص من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام التى تؤيد طريقة السلف فى قضية الإيمان فى مفهومه وبيان معناه . وهل يزيد وينقص أم لا؟ مما لا يتسع المجال لحصره لذا لزمنا التنويه بهذا لمن أراد المزيد .

وأما الإسلام : فإن العلماء يحددون معناه الشرعى فى قولهم : هو الانقياد

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) أخرجه الآجرى فى الشريعة ورواه مسلم بلفظ : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) .
(٣) الشريعة : ١٠٢ ، ١٠٣ .

بالأفعال الظاهرة الشرعية. ويطلق أيضاً على الاستسلام والانقياد والخضوع لله عز وجل وعلى هذا، فإنه يكون بين الإيمان والإسلام تلازم باعتبار المعنى الثانى.

وأما باعتبار المعنى الأول: فالإيمان ينفك عنه. إذ قد يوجد التصديق والاستسلام الباطنى بدون الأعمال المشروعة. أما الإسلام بمعنى الأعمال المشروعة فلا يمكن أن ينفك عنه الإيمان لاشتراطه لصحتها. وهى لا تشترط لصحته خلافاً للمعتزلة لقد بذل المتكلمون والمحدثون والفقهاء جهداً كبيراً. وكتبوا كثيراً. واختلفوا وتفرقوا. وكال بعضهم لبعض التهم. وأصدر بعضهم الأحكام انتقاصا للبعض الآخر. حدث منهم كل هذا – الذى نرفضه – حول بيان معنى الإيمان والإسلام وعلاقة كل منهما بالآخر وهل هما معنيان أو أسمان لمسمى واحد أم أنهما مختلفان؟

ولم يكن مثل هذا الخلاف واردا فى عصر الصحابة والتابعين الذين كان القرآن الكريم والسنة الشريفة مرجعهم ومصدر معارفهم الإيمانية.

أما من جاءوا من بعدهم فقد أضافوا إلى القرآن والسنة. إعمال العقل فى مسائل العقيدة – وخاصة بعد ترجمة الفلسفات المختلفة – ومسائل العقيدة. مسائل نصية ولو أن علماء الكلام جميعاً كبحوا جماح العقل البشرى وقيدوا نشاطه فى هذا الأمر لو فروا على أنفسهم وعلى سائر المسلمين تحمل عبء هذا الخلاف والتفرقة. مما نجنى ثماره إلى اليوم من إثارة مشاكل ونزاعات فرقت كلمة الأمة.

ولو أنهم اتبعوا الوحى وسلكوا سبيل السلف الصالح رضوان الله عليهم لأراحوا واستراحوا. ووفروا على الأمة الاشتغال بالجدال والمنازعة مما أضعف الأمة وهد من عزيمتها حتى أصبحت غير قادرة على مواجهة أعدائها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لقد لعبت بعقولهم الأهواء وقاد مسيرتهم إبليس وجنوده فتاهوا وتفرقت

بهم السبل منذ ظهرت فرقة الخوارج بين عامة الطوائف وكذلك الشيعة بكل طوائفها ومن بعدهما كان ظهور المعتزلة والقدرية والجهمية والقرامطة وكلها فرق مبتدعة وغاب عنهم هذا التوجيه الإلهى للمصطفى ﷺ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ .

وكان الأجدر بهم أن يحسنوا التلقى عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان .

لقد تعلموا أصول الدين كما جاء فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام[1] ولم يسأل أى صحابى عن معنى الإيمان أو الإسلام أو الإحسان . وهل ما أجاب به رسول الله ﷺ هل هو باعتبار المفهوم أم أنه باعتبار متعلق كل منهم؟

ولكنهم سمعوا فآمنوا . وعملوا بما علموا وصدقوا . فأراحوا أنفسهم من الاشتغال بفذلكات العقل وجموحه . وأبعدوا أنفسهم عن السير فى ركاب الشيطان والهوى لهذا استحقوا من الله تعالى رضاه والفوز بالنعيم المقيم .

لقد فرق النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث المذكور بين مسمى الإسلام ومسمى الإيمان ومسمى الإحسان، فقال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محداً رسول الله . وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان . وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » .

وقال : « الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدرة خيره وشره » .

وقال : « الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وحديث جبريل هذا يبين أن الإسلام المبنى على خمس . هو الإسلام نفسه ليس المبنى غير المبنى عليه . بل جعل النبى ﷺ الدين ثلاث درجات : أعلاها : الإحسان . وأوسطها الإيمان . ويليه الإسلام .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

فكل محسن مؤمن. وكل مؤمن مسلم. وليس كل مؤمن محسنا. ولا كل مسلم مؤمنا هذا: وقد فسر رسول الله ﷺ الإيمان فى حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام هنا. ولكنه لم يذكر فيه الحج. وهو متفق عليه. فقال: «آمركم بالإيمان بالله وحده. هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان. وأن تؤدوا خمس ما غنمتم أو خمسا من المغنم» وتارة يأتى الإيمان مقروناً بالإسلام. وتارة يذكر مفرداً غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما.

فيذكر مقرونا بالإسلام كقوله فى حديث جبريل: «ما الإسلام وما الإيمان»؟

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ [الحجرات: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] وكذلك ذكر الإيمان مع العمل الصالح. وذلك فى مواضع من القرآن. كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وتكررت كثيراً في القرآن الكريم وإما مقرونا بالذين أوتوا العلم كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ** ﴾ [الروم: ٥٦] وقوله: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١] وحيث ذكر الذين آمنوا فقد دخل فيهم الذين أوتوا العلم فإنهم خيارهم. قال تعالى: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ [آل عمران: ٧]

يقول ابن علان رحمه الله تعالى[١]: فلا يعتبر فى الخارج إيمان شرعاً بلا إسلام. ولا عكسه متحدان ما صدقا فى الشرع. مختلفان مفهوما. فكل مؤمن

(١) دليل الفالحين: ١/ ٢١٦، ٢١٧.

شرعا مسلم كذلك. وكل مسلم مؤمن. فما دل عليه حديث جبريل من اختلافهما. هو باعتار المفهوم. إذ مفهوم الإسلام الشرعى، الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية. والإيمان فى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية. على أنه قد يتوسع الشرع فيهما. فيستعمل كل واحد منهما فى مكان الآخر. كإطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة فى حديث: «الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق. وأرفعها قول لا إله إلا الله» على أحد الوجوه فى ذلك.

ثم يذكر قول القرطبى رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق من باب التجوز والتوسع وإذا حقق ذلك أزاح كثيراً من الإشكال الناشىء من هذا الأستعمال أهـ. فالإسلام والإيمان بينهما تلازم لا ينفك أبداً، فهما – كما يرى السلف – مسميان لمسمى واحد. ومعنيان لمفهوم واخد. والنصوص الدالة على ذلك – خلاف ما ذكرنا – كثيرة. وما أوردناه فيه الكفاية. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

فالإيمان هو الإسلام. والإسلام هو الإيمان. يقول الحافظ ابن حجر فى الفتح: وقوله وما بين . أى مع ما بين للوفد – أى وفد عبد القيس – أن الإيمان هو الإسلام حيث فسره فى قصتهم بما فسر به الإسلام هنا، وقوله وقول الله. أى مادلت عليه الآية. أن الإسلام هو الدين. ودل عليه خبر أبى سفيان. أن الإيمان هو الدين. فاقتضى ذلك. أن الإسلام والإيمان. أمر واحد. هذا محصل كلامه. وقد نقل أبو عوانة الاسفرا بينى فى صحيحه عن المزنى صاحب الشافعى. الجزم بأنهما عبارة عن معنى واحد وأنه سمع ذلك منه. وعن الإمام أحمد الجزم بتغايرهما. ولكل من القولين أدلة متعارضة وقال الخطابى: صنف فى المسألة إمامان كبيران وأكثرا من الأدلة لقولين وتباينا فى ذلك. والحق أن بينهما عموما وخصوصا. فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً انتهى كلامه ملخصاً ومقتضاه أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معاً. بخلاف الإيمان. فإنه يطلق عليهما معاً. ويرد عليه قوله تعالى: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ فإن

الإسلام هنا يتناول العمل والاعتقاد معا لأن العامل غير المعتقد ليس بذى دين مرضى. وبهذا استدل المزنى وأبو محمد البغوى»[1]. أ هـ.

فلو أن العلماء استخدموا طريق الصحابة وتابعيهم طريقاً للأمة. لأراحوا أنفسهم وجنبوا الأمة ويلات الفرقة. وتعدد الفرق والطوائف المختلفة. فرق كلمة الأمة اللهم خذ بأيدينا إلى أن ننهج مسلك سلفنا الصالح رضى الله عنهم.

وأما التقوى: هى امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به وترك كل منهى عنه حسب الطاقة[2].

وأصل التقوى: اتقاء الشرك ثم اتقاء المعاصى. ثم اتقاء الشبهات[3].

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقال عز وجل: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: ١٦] وقال عز وجل: ﴿ **إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وروى الترمذى عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما. أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن» وروى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الأجوفان: الفم والفرج».

وروى الترمذى عن عطية بن عروة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس».

---

(١) فتح البارى: ١ / ٩٤.

(٢) دليل الفالحين: ١ / ٢٤٦.

(٣) تهذيب الأخلاق: ١٢٥.

وروى ابن كثير في التفسير عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (هدى للمتقين) قال: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بى ويعملون بطاعتى وروى عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس (للمتقين) قال: الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى. ويرجون رحمته فى التصديق بما جاء به.

وروى عن الحسن البصرى فى قوله تعالى: (للمتقين) قال: اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم.

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبى بن كعب رضى الله عنه عن التقوى.

فقال له: أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوى.

وقال ابن علان فى دليل الفالحين[1] بعد أن ذكر تعريف التقوى.

من فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بالمدح والثناء: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ وبالحفظ من الأعداء: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ وبالتأكيد والنصرة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ قال أبو ذر رضى الله عنه. قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية. ثم قال: « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم ».

وبإصلاح العمل وغفران الذنب: ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾.

---

(١) جـ ١ / ٢٤٦، ٢٤٧.

وبكفلين من الرحمة والنور: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾.

وبالقبول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

والإكرام والإعزاز عند الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

والنجاة من النار: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾.

وبالخلود فى الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

وبغاية ذلك القصوى وهى محبة الله تعالى وموالاته وانتفاء الخوف والحزن وحصول البشارة فى الدنيا والآخرة والفوز العظيم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

ولو لم يكن فى التقوى سوى هذه الخصلة لكفت. أ.هـ.

وقال الله عز وجل مبينا جزاء المتقين: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

[الطور: ١٧ - ٢٠]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ويقول البيضاوى فى التفسير: (التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شىء سوى الله تعالى).

وخلاصة القول: أن الإيمان والإسلام والتقوى بينها صلة تلازم لا ينفك. لأنها مراتب الدين. فكلها تكون الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾.

والتقوى: هى. غاية كمال من سبقها من الإيمان والإسلام. وهى المقوم لهما.

إذا بدون التقوى يتطرق إلى الإسلام الذى هو الأعمال الظاهرة. الرياء والشرك وبدونها أيضاً. يتطرق النفاق إلى الإيمان. لذلك قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

فالتقوى هى أسلوب التقويم والتصحيح عندما يحدث انحراف فى التطبيق والتنفيذ لهذا كانت الصلة بينها وبين الإيمان والإسلام صلة ترابط ولزوم حتى يتم تنفيذهما كما جاء به المنهج الإلهى.

كما أن التقوى هى التجريد الصحيح للإيمان والرقى به إلى درجات المحسنين التى هى أعلى مراتب الإيمان. كما روى فى حديث جبريل عليه السلام. قال رسول الله ﷺ: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

* * *

٣ - لا إله إلا الله محمد رسول الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله . هى المنقذة . وهى المنجية . فمن لم ينطق بها ويعتقدها فهو من الهالكين المخلدين فى جهنم وبئس المصير.

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ».

ورويا أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من حديث جبريل عليه السلام «ما الإسلام؟ قال : الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ».

وروى فى بيان معناها أقوال كثيرة . أشهرها وأرجحها : لا معبود بحق إلا الله تعالى، فهو المعنى الذى لم ترد عليه اعتراضات . فهى نفى وإثبات . لأنها تنفى استحقاق العبادة لغير الله تعالى . وتثبتها لله عز وجل لأنه وحده المستحق للعبادة .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن

كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٥].

يقول مولانا محمد على[1] : يعالج القرآن الكريم كل المبادىء الأساسية للإسلام. كما يعالج نظرية الإيمان بالله. وحجر الزاوية فيها هو: وحدانية (التوحيد) وأشهر تعبير يعبر عن وحدانية الذات الإلهية «لا إله إلا الله» وتعنى أنه لا شيء يستحق العبادة إلا الله. وهو اعتراف إذا اقترن بالاعتراف بنبوة محمد ﷺ «محمد رسول الله» يدخل الإنسان فى حظيرة الإسلام. ووحدانية الله طبقاً لما جاء فى القرآن الكريم تعنى أن الله واحد فى ذاته. واحد فى صفاته. واحد فى فعاله.

والوحدانية فى ذاته تعنى أنه لا يوجد تعدد فى الآلهة. ولا تعدد أشخاص فى الربوبية ووحدانية صفاته تعنى أنه لا يوجد كائن يمتلك صفة أو أكثر من الصفات الإلهية فى كمالها. وواحدانية فعاله تعنى أنه لا أحد يستطيع أن يفعل ما فعله الله أو ما سيفعله الله. وقد لخص القرآن نظرية التوحيد بطريقة جميلة قصيرة. فيقول: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ثم يقول: والشرك عكس التوحيد، ومعنى الكلمة يتضمن وجود شركاء، والقرآن الكريم يتحدث عن الشرك بأنه يعنى وجود آلهة مع الله. سواء أكان هذا فى شخصه - ذاته - أو فى صفاته أو فى أفعاله. أو فيما يختص بالطاعة الواجبة له وحده.

---

(١) دين الإسلام: ١١٣- ١١٥.

والشرك هو أكبر الخطايا. ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ثيم يقول: وقد ذكر القرآن أنواع الشرك المختلفة. وتتلخص في: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه ثلاثة أنواع من الشرك. وهناك نوع رابع ذكره وحده.

فأكثر نوع من الشرك نلمسه عندما نعبد شيئاً آخر إلى جانب الله. كالحجارة والأصنام والأشجار والحيوانات والمقابر[١] والأجرام السماوية وقوى الطبيعة أو نعبد بشرا باعتبارهم أشباه آلهة أو تجسيد للآلهة أو أبناء أو بنات الله.

والنوع الثاني من الشرك: نلمسه بصورة أقل. وهو أن نشرك شيئاً آخر مع الله. بمعنى أن نقول: إن هناك أشياء لها الصفات الإلهية. فالاعتقاد بأن هناك ثلاثة أشخاص في مكان الربوبية. وأن الابن والروح القدس أزلين. قادرين على كل شيء عالمين بكل شيء مثل الله. وهذا نجده في العقيدة المسيحية. أو أن تعتقد أن هناك خالقا للشر وخالقا للخير مثل الزراد شتية. أو أن المادة والروح تشارك الله في أزليته وموجودة بذاتها مثل الله. وهذه تجدها في الهندوسية.

وآخر أنواع الشرك: هو أن يتخذ الناس الآخرين أربابا. وقد أجاب النبي ﷺ بنفسه على هذا عندما نزلت الآية التالية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

---

(١) مولانا محمد علي. يقصد بذلك هؤلاء الذين يعبدون المقابر المقدسة بالهند وغيرها لأشخاص مقدسين في الهندوسية ومثله ما ذكره الامام مالك من قول الرسول ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ولم يقصد بذلك زيارة قبور وأضرحة الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأولياء.

مَن دُون اللَّه وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهًا واحدا لاَ إله إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] وكان عدى بن حاتم قد تحول من المسيحية إلى الإسلام. فقال للنبى ﷺ. إن اليهود والمسيحيين لا يعبدون أحبارهم ولارهبانهم. فسأله الرسول ﷺ: ألا يطيعونهم طاعة عمياء فيما يفرضونه عليهم وفيما يمنعونهم عنه فأجاب عدى بالإيجاب. وهذا يبين أن الطاعة العمياء للرجال العظام تعتبر شركا وهناك نوع رابع من الشرك: وهو ما أشارت إليه الآية: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣] فإن اتباع الإنسان لرغباته بطريقة عمياء يعتبر شركا.

ويقول: والإيمان بوحدانية الله تعنى أن الطاعة الحقيقية تكون له وحده وأن من يطيع أى شىء آخر أو حتى رغباته مفضلا ذلك على أوامر الله فهو شرك. أ.هـ.

والنبوة نعمة من الله تعالى على الإنسان كما جاء فى القرآن الكريم. وهى هبة من الله تعالى لبنى آدم لإمدادهم بالعون الروحى، فالأنبياءهم الذين أيقظوا روح الإنسان، وسموا به إلى أعلى مراتب العلم والإيمان والحضارة قال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

إن الله عز وجل هو المنعم بلا مقابل. فالنبوة هبة من المنعم عز وجل وليست بمجهود العبد فهو وحده الذى يرفع الإنسان إلى مقام النبوة ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هم بعوثه إلى كل أمم الأرض ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وسيدنا محمد ﷺ فقد بعث إلى كل أمم العالم مبشراً ونذيراً قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] ويؤكد القرآن الكريم عالمية الرسالة فى قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ونلاحظ هنا أنه لا يوجد نبى خوطب بمثل ما خوطب به سيدنا محمد ﷺ بمثل هذا الأسلوب سواء فى القرآن الكريم أو فى أى كتاب مقدس آخر مما نزل على المرسلين الذين سبقوه. وصدق الله العظيم: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨١].

فعالمية رسالته ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾ فإنه فيه إجبار لأتباع كل الأنبياء والمرسلين السابقين على أن يتبعوا محمدا ﷺ إن هم أدركوا رسالته. وبين لهم العلامة التى تميزه فقال: ﴿ **مصدق لما معكم** ﴾ أى أنه يشهد على صحة نبوة من سبقه من الأنبياء والمرسلين. لذلك كان من أركان الإيمان فى عقيدته ما رواه الشيخان من حديث جبريل عليه السلام. ما الإيمان؟.

قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».

هذا ومن ضرورة التصديق بنبوة محمد ﷺ وعالمية دعوته أن تؤمن أيضاً بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبوة بعده. قال الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال رسول الله ﷺ: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» [رواه البخارى ومسلم والترمذى].

وروى البخارى: أن النبى ﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه عندما تركه مكانه فى المدينة فى غزوة تبوك وقال على: أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه ليس نبى بعدى» ورواه الطبرى فى الرياض النضرة.

وروى الإمام مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن لى عند ربى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا حامد وأنا شاكر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الخطايا وأنا العاقب. والعاقب من لا نبى بعده» وبه ﷺ أكمل الله الدين وأتم به النعمة للبشر جميعاً قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] إن الشهادة لله عز وجل بالوحدانية وأنه المعبود ولا معبود سواه. والتصديق بنبوة محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين وأن رسالته عامة للعالم كله هذه الشهادة هى أصل الدين ومرتكز العقيدة. وهى المنجية والمنقذة. فلن ينجو الإنسان إلا بإقامتها والعمل بمطالبها كما ينطق بذلك القرآن الكريم والسنة الشريفة يقول العارف بالله تعالى سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى رحمه الله تعالى(١): ولا إله إلا الله هى لاستنقاذ الذات المحدثة من العذاب الأدنى فى الحال. ومن العذاب الأكبر فى عاقبة المآل. وعلى النطق بها بنى الإسلام. وعلى قواعدها والعلم بمقتضاها بنى الإيمان. وعلى فهم عقائدها والجمع بينها وبين الإحسان. ومن شهود شرفها يترقى إلى مبادىء الإيقان. فقولها إسلام. وعملها إيمان. وفهمها إحسان وتحققها إيقان وظاهرها عنوان الإسعاد: فظاهرها عالم الملك بداية للشهادة. وباطنها فهم المراد بها فى عالم الملكوت وبسط للمعرفة. وحقيقتها كشف معانى أسرارها فى عالم الجبروت نهاية للشهادة. فهى فى الدنيا عقد الجنان على مقتضى الإيمان. وفى الآخرة الكشف والعيان على مقتضى

(١) كتاب الله. القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد: ٦ - ٩.

الإيقان . وهى عصمة فى الدنيا للدماء والأموال . وعصمة فى الآخرة عند عاقبة الآمال .

فمن قال : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عصم ماله ودمه إلا بحقها . ومن مات وهو يعلم أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) دخل الجنة . ويجمعها سر معانى التوحيد ومعرفة التفريد . وفهم التجريد . وهى الدالة على قول النبى ﷺ (أوتيت جوامع الكلم) فمن طلب الله بنفسه . دون اقتداء لم يصح توحيده وارتد ، ومن طلب بالله ورسوله . وهو العلم . صح توحيده واهتدى .

ومن عرف الله من جهة الإيمان أطاعه ومن عرفه من جهة اليقين آثره ومن عرفه من جهة التوحيد . عظمه .

ومن لم تفده المعرفة علما بالله (تعالى) وبصفاته . ومزيدا فى حقيقة توحيده . فهو محجوب . والمحجوب مفقود . فإيمان العلماء عن علم يقين . وقال رسول الله ﷺ (اليقين هو الإيمان كله) .

والنقل والرواية فى علم الإيمان أنفع وأقوى من التقليد ، والكشف والدراية أنفع وأقوى فى علم التوحيد .

فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله لازمة للخلق اعتقادا بها قلبا والاعتراف بها نُطقا والوفاء بها علما .

فإذا كان الإيمان فى ظاهر القلب . أحب العبد الدنيا والآخرة . فتارة له وتارة عليه وإذا دخل الإيمان باطن القلب . أبغض العبد الدنيا . وأحب الآخرة وهجر هواه .

وإذا باشر الإيمان سويداء القلب . أعرض عما سوى الله .

والتوحيد هو العلم . والعمل أصل الإيمان . والإيمان هو التصديق . وكل تصديق بالقلب فهو علم . فإذا ثبت سمى يقينا . فإذا قوى سمى توحيدا . فإذا رسخ سمى معرفة فمثل من عرف عقائد باطن الإسلام كمن وجد كنزا، ومثل من

عرف عقائد باطن الإيمان كمن وجد معدنا. ومثل من عرف فوائد سر الإحسان كمن وجد الكيمياء.

فكوكب سماء ملكوت السعادة. الإسلام. ودرّيها الإيمان، وقمرها الإحسان وشمسها الإيقان.

ولا إله إلا الله دائرة بين النفى السالب. والإثبات الموجب. فالنفى السالب لجميع صفات الحدوث والنقص والعدم. والإثبات الموجب لجميع صفات التنزيه والكمال والقدم فمن نظر إلى وجود الحق بعين القدم. ونظر إلى ما سواه بعين الحدوث والعدم. فقد شاهد أزليته. وقال: (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله)[1].

ومن نظر إليه بعين البقاء ولخلقه بعين الفناء. فقد شاهد سر أزليته. وقال: (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده)[2].

ومن نظر إليه بعين العلم والقدرة. وللخلق بعين الجهل والعجز وقصور المنة، فقد شاهد فعله وإحاطته. وقال: (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه)[3].

ثم قال رضى الله عنه: وأعلم أن التوحيد هو إثبات القدم. وإفراد المحدث ونفى العدم. ومعرفة التفريد هو إفراد الاسم، وفهم التجريد هو التنزيه بالعلم. وأصل (لا إله إلا الله) هو إثبات اسم الألوهية. وإخلاص افراده ونفى ما سواه من الإلهية. وتنزيهه عن أضداده وأنداده وبفهم معناه وسره: يصح الإسلام وشهادته: يتم الإيمان: وقاعدته: يكمل الإحسان .أ. هـ.

رحم الله تعالى ابن عطاء الله الذى قال فأحسن وبين فأوضح وفسر فأجاد وصدق الله العظيم: قال عز وجل: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١، ٢، ٣) مما روى من كلام سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

هذا: ولا يتم إيمان العبد حتى يعتقد بأن الله عز وجل يجب له كل كمال. فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه ﷺ من صفات الجلال والجمال. وأنه عز وجل منزه عن كل نقص فلا يشبه أحدا من مخلوقاته ولا يشبهه أحد مما خلق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وروى أن الإمام الشافعي رضى الله عنه قال فى عقيدته: «آمنت بما جاء عن الله. على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ».

يعنى رضى الله عنه: لا على ما تفهم العامة من المعانى الحسية الجسمية وقال رضى الله عنه فى خطبة كتاب (الرسالة): (أنه لا يبلغ الواصفون كنه عظمته وأنه كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه).

رحم الله تعالى سلفنا الصالح. لقد نزهوا عقولهم عن الخوض فى قضية الأسماء والصفات. وأرجعوا هذا الأمر إلى الوحى القرآنى والسنة النبوية الشريفة لأن هذا الأمر فوق قدرات العقل. وما عليه إلا أن يستقبل النص من الكتاب أو السنة فيؤمن ويصدق وليس مكلفا بأكثر من ذلك[1].

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ فنحن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ وننفى عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسول الله ﷺ وننزهه عز وجل عن الوصف بما لا يليق به سبحانه وتعالى. فهو عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

سبحانك اللهم ربنا لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. تباركت ربنا وتعاليت. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) عرضنا هذه القضية بشيء من التفصيل فى كتابنا: الإمام الشافعى والفكر السلفى.

٤ - صفات المؤمنين

١ - نتلوا مما نزل فى القرآن من صفات المؤمنين الآيات التالية :

قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة ١ - ٥] قال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧] .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٦ ، ١٧] قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

أعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ – ٧٦].

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥].

قال الله تعالى : ﴿ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٢ – ٣٥].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٧ ، ٨].

٢ – نذكر مما روى فى السنة الشريفة الأحاديث التالية :

روى البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « بينما نحن ذات يوم جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جاء إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه . ثم قال يا محمد ما الإسلام؟ فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم

الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . فقال : صدقت فقال عمر : فعجبنا له يسأله ويصدقه . ثم قال : ما الإيمان ؟

قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه وأن تؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . ثم قال : ما الإحسان ؟

قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت ثم قال : ما الساعة . أو قال : متى الساعة ؟

قال : مال المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها : إذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان وأن تلد الأمة ربتها . أو قال : ربها . ثم قال : خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ ثم انصرف . يقول عمر : فلبثنا مليا . ثم قال النبى ﷺ : ردوه على يقول عمر : فلم نجده . فقال رسول الله ﷺ : أتدرون من هذا ؟ إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم » .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وستون . أو قال : بضع وسبعون شعبة أعلاها : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » ورواه مسلم والترمذى وروى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا ؟ قلن : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره . وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط . فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

وروى الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله عز وجل يوم القيامة » فجثى رجل على ركبتيه وقال : من هم يا رسول الله

صفهم لنا وحَلِّهم لنا فقال: « هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوهم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . . .** ﴾ ».

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قلت أى الأعمال أفضل يا رسول الله؟

قال: « الصلاة على ميقاتها » قلت: ثم أى؟ قال: « ثم بر الوالدين ».

قلت: ثم أى؟ قال: « ثم الجهاد فى سبيل الله ». ورواه مسلم أيضاً.

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل: وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفترقا عليه. ورجل تصدق فاخفى حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ».

روى مسلم عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملآن ما بين السماء والأرض. والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك. وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ».

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ».

والأحاديث الواردة فى هذا الباب أكثر من أى تحصى أو تستقصى فى هذا المجال المحدود ونكتفى بهذا القدر. فإن فيه – بمشيئة الله تعالى – بغية كل طالب، وزاد كل عابد، والله تعالى يقول الحق وهو يهدى إلى سواء السبيل.

فهذه الآيات القرآنية وتلك الاحاديث النبوية ترشدنا إلى أن المؤمن التقى يتحلى بالكثير من الصفات الحميدة ويتسمك بالعديد من القيم والمثل العليا والتى من أهمها :

١ – الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه والإيمان بالقدر .

٢ – يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له بصدق وإخلاص وصبر .

٣ – يذكر الله تعالى بكل ما يملك من قدرات الاستطاعة . يلهج لسانه بالذكر والثناء على الله تعالى . داعيا ومستغفرا . وتائبا منيبا .

٤ – يبيت ساجداً بين يدى الله عز وجل . مصليا أو تاليا لكتاب الله . أو مستغيثا ملبياً .

٥ – بعيدا عن فعل كل ما يغضب الله عز وجل من الزنا والقتل والسرقة وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة . وتناول سائر المحرمات من الطعام والشراب بعيدا عن كل ما فيه شبهة .

٦ – يحسن التوكل على الله تعالى متواضعا متذللا مستغيثا .

٧ – يتوسط فى الأمر ويختار من الأمور أيسرها .

٨ – حييا كريما سخيا ينفق من حل ماله . محبا متعاونا . وفيا بعهده . أمينا فيما أوتمن عليه شجاعاً وناصراً للحق مهما كانت العاقبة .

٩ – يكظم غيظه فلا يغضب ولا يجهل إذا جهل الناس عليه . صبوراً حليماً عفواً كريماً .

١٠ – يرفع الأذى عن الناس ويتحمل الأذى منهم .

١١ – يحب الجلوس فى بيوت الله لطلب العلم والمعرفة والقيام بالعبادة والذكر والدعاء .

١٢ – باراً بوالديه وعطوفا على أولاده وأهله.

١٣ – مجاهدا فى سبيل الله تعالى دفاعا عن الدين والوطن والعرض والمال والولد.

١٤ – يعود إلى ربه عز وجل سريعا إذا وقع منه خطأ أو فعل ذنبا أو ارتكب إثما.

١٥ – يتحلى بالمسامحة والعفو عن ظلمه ويصل رحمة راضياً مختاراً.

هذا: وسوف نذكر من صفات المؤمنين ما نزل في سورة المؤمنون بشيء من الشرح والتفسير كونها قدمت أربعة نماذج هي:

الأول: بيان أن حق الله تعالى مقدم على حقوق عباده ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ ثم أكدت على ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾.

الثانى: بيان أن للعباد حقوقا ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** ﴾.

الثالث: ذكر نموذجا للحرام في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ وقد أتى بهذا الأمر لأنه أبغض المحرمات.

الرابع: ذكر نموذجا من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ الذين يتمسكون بهذين الأمرين يكونون قد حصلوا أهم ما يجب على المؤمن أن يحرص عليه.

* * *

صفات المؤمنين فى سورة المؤمنون

لما كان الموضوع الأساسى والرئيسى الذى تتحدث عنه سورة «المؤمنون» هو أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث والنشر. استلزم الأمر استهلال السورة بذكر صفات المؤمنين التى هى ثمرة عقيدتهم الإيمانية الصادقة المبنية على التوحيد الخالص وكمال العبودية لله عز وجل. ومما لا شك فيه أن من تتوفر فيه هذه الصفات الحميدة قد فاز بالفلاح والنجاة فى الدنيا والآخرة. وبهذا حكم الله تعالى بأن الفلاح والفوز للمؤمنين فقال فى مفتتح السورة ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ وقد هنا تفيد التأكيد كما تفيد التقريب للماضى من الحال كما حكى ذلك عن الفراء[1].

والمراد بالفلاح: الظفر بالمراد والنجاة من المكروه من أمور الدنيا والآخرة والمتأمل فى صفات المؤمنين كما عرضتها سورة المؤمنون يرى الأمر فى غاية الأهمية والخطورة. حيث أن المؤمن يجب أن يتصف بصفات الكمال ويتحلى بالقيم والمثل العليا التى جاء بها الإسلام. وفى ذلك الفوز بالجنة والنجاة من النار قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[2].

أما صفات المؤمنين – كما ذكرت – فهى تعنى الشىء الكثير لأنها أحاطت بأمر الإسلام كله كما سنبين ذلك بحول الله وعونه عز وجل. فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

الخشوع: الخضوع والسكون والتذلل. والفعل كَمَنَعَ. وتَخَشَّعَ: تَضَرَّع[3].

---

(١) الشوكانى فى فتح القدير ص ٤٧٣ مجلد ٣.
(٢) أخرجه ابن تيمية فى كتاب الإيمان ص ٨٩.
(٣) مختار القاموس ص ١٨٠.

وقد اختلف في المعنى المراد منه في هذا المقام. قال العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى: (والخشوع: منهم: من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة. ومنهم: من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث)[1].

والذى أختاره وأميل إليه هو أن الخشوع يشمل المعنيين. ويدل على ذلك معناه عند أهل اللغة الذى يفيد أنه خضوع القلب والقالب.

هذا وقد اختلف العلماء في الخشوع في الصلاة. هل هو من فرائض الصلاة أم أنه من فضائلها؟ ذهب إلى القول بأنه من فرائض الصلاة جماعة. وقال آخرون إنه من فضائلها وليس من فرائضها.

وادعى عبد الواحد بن زيد إجماع العلماء على أنه ليس للعبد إلا ما عقل من صلاته حكاه النيسابوري في تفسيره. قال: ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ – والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى. وكذا قوله – ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ – والغفلة تضاد الذكر. ولهذا قال – ولا تكن من الغافلين – وقوله: – ﴿ **حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾ – نهى للسكران والمستغرق في هموم الدنيا بمنزلته [2] . أ.هـ.

أخرج سعيد بن منصور وابن جرير والبيهقي في سننه عن محمد بن سيرين قال: نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء. فنزلت ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ . وأخرجه عبد الرزاق عنه وزاد: فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده. وروى كثيرون منهم البيهقي وابن أبي حاتم والحاكم وأبو داود مثله.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن سيرين بلفظ: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفعون رءوسهم

---

(١) فتح القدير ٣/ ٤٧٣ .

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٧٤ .

وأبصارهم إلى السماء فى الصلاة يلتفتون يمينا وشمالاً. فأنزل الله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾.

والخشوع فى الصلاة يورث الخوف من الله تعالى كما يورث الرجاء. لذا كان رسول الله ﷺ أكثرنا خشية لله تعالى وأتقانا له. أخرج الإمام النووى رحمه الله تعالى فى رياض الصالحين.. عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال: « **أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء** ».

قال النووى: حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل بإسناد صحيح ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن كل ما من شأنه أن يزيل الخشوع والصلاة.

روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا صلاة بحضرة طعام. ولا وهو يدافعه الأخبثان** ».

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم** ». فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: (لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم).

وروى أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت:

سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة؟

فقال: (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد).

وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إياك والالتفات فى الصلاة فإن الالتفات فى الصلاة هلكة فإن كان لابد ففى التطوع لا فى الفريضة**) [حديث صحيح].

وروى مسلم من حديث عثمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **خمس صلوات افترضهن الله. من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن. وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن. كان له على الله عهد أن يغفر له** ».

وروى الشيخان عن معيقيب رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : (لا تمسح الحصا وأنت تصلى . فإن كنت لابد فاعلا . فواحده) أى للضرورة كأن يرفعها من مكان سجوده أو من تحت إحدى قدميه فهذه أمور نهى عنها رسول الله ﷺ . لأنها تذهب الخشوع فى الصلاة وإذا لم يتحقق الخشوع فى الصلاة . كان العبد مسيئا لصلاته لأنه لم يحقق فيها وبها الأدب مع الله عز وجل وهو بين يديه .

لهذا أمر رسول الله ﷺ المسلم أن يبعد عن نفسه كل ما يشغله عن صلاته ولا يحقق الأدب والامتثال والخشوع والتذلل لله عز وجل فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا صلى أحدكم إلى شىء يستره من الناس . فأراد أحد أن يجتاز بين يديه . فليدفعه فى نحره ، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان) .

وفى لفظ آخر (إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحداً يمر بين يديه وليدرأه - يدفعه - ما استطاع . فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان) [رواه البخارى ومسلم] .

لهذا كان على المار بين يدى المصلى الإثم الكبير والذنب العظيم ، كما أنه يجب على المصلى أن لا يختار مكانا لصلاته يضع المسلمين فى حرج ومشقة .

روى فى الصحيح عن أبى الجهم : عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه . لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه » .

قال أبو النضر : « لا أدرى قال أربعين يوماً أو شهرا أو سنة » متفق عليه فالخشوع مطلوب فى الصلاة حتى يؤديها المصلى على الوجه الأكمل كما أنه مطلوب فى سائر العبادات وفى كافة المعاملات التى تكون بين العبد وربه ليعيش

العبد فى مقام العبودية الصادقة لله عز وجل فيكون بذلك عبدا ربانيا متواضعا. رحيما. متعاونا. يعفو عمن ظلمه. تقيا يخشى ربه ويعمل من أجل دينه فتصلح بذلك آخرته فيفوز بالفردوس الأعلى من الجنة.

ثانياً: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

اللغو: قال ابن كثير: اللغو: الباطل. وهو يشمل الشرك والمعاصى وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال(١).

وقال الزجاج: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يجمل من القول والفعل وقال الضحاك: إن اللغو هنا - أى فى سورة المؤمنون - الشرك.

وقال الحسن: إنه المعاصى كلها(٢).

ويؤيد هذه المعانى كلها ما أورده صاحب مختار القاموس(٣) فقال:

ولغالغْواً: تكلم. واللغو واللغا: السَّقَطُ وما لا يعتد به من كلام وغيره ولغا فى قوله - كسعى ودعا - أخطأ. وكلمة لاغية: أى فاحشة.

ويمكننا أن نقول بناء على ما تقدم بأن اللغو: هو الفحش فى القول وفى الفعل فيشمل الفحش فى القول من صغائر الذنوب إلى قمة الكبائر من الذنوب وهو الشرك - نعوذ بالله من الشك والشرك - فيكون من اللغو: السب والشتم والكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة. والزور والبهتان والشك والشرك والنفاق والرياء.. إلخ فكل هذا لغو فى الدين قولا وفعلا.

لهذا نزه الله المؤمنين عنه بأن وفقهم للإعراض عنه. فاجتنبوه ولم يلتفتوا إلى أى شيء منه. فكان لهم عند الله الجزاء الأوفى. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على تحريم هذه الأمور كثيرة قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ**

---

(١) مختصر ابن كثير ٢/ ٥٥٩.　　(٢) ص ٥٥٤ ل غ و.

(٣) نقله الشوكانى فى فتح القدير ٣/ ٤٧٤.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ . خطب الناس يوم النحر . فقال : يا أيها الناس : أى يوم هذا؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأى بلد هذا؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر هذا؟ قالوا : شهر حرام قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت . قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لوصية إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب . لا ترجعوا بعدى كفارا - أى كالكفار - بضرب بعضكم رقاب بعض » رواه البخارى .

وقد نزه الله المؤمنين عن اللغو قولا وفعلا لأنه إذا فشا فى قوم فإنه يهلكهم ويهدم بنيانهم . والإسلام يطلب من أتباعه دائماً أن يكونوا أمة قوية متماسكة عالية البنيان قوية الدعائم . وليست أمة هشة تافهة تفاهة غثاء السيل . لأن السوس ينخر فى عظامها . ويهد من عزمها .

لذا حث الإسلام على قول الخير وفعل الخير وإلا فالسكوت والإمساك عن الكلام وعن الفعل أفضل وأجزى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » رواه البخارى ومسلم .

ولهذا كان رسول الله ﷺ يمزح أحيانا مع أصحابه ولا يقول إلا حقا . فيجب على المسلم أن لا يقول إلا حقا إن تكلم وإلا فالصمت أفضل ولا يفعل إلا حقا وخيرا إن فعل وإلا فالقعود عن العمل أفضل .

وهكذا حال المؤمن إن نطق فبالله وعن الله وإن سكت فمرضاة لله وبالله وإن

فعل فمن أجل الله وإن قعد عن العمل فإنه يطلب البعد عن فعل كل ما يغضب الله عز وجل. لأن حياة المؤمن وحاله دائما يكون بالله ولله ومع الله. ولن يضيع الله عز وجل أجر من أحسن عملا.

فكم من أسر وأقوام أهلكها اللغو وفعل الفحش وقول الزور وعمل البهتان وكم من مجتمعات إسلامية ضلت الطريق فبعدت عن قيم الإسلام وآدابه فنالت بذلك الهلاك والبوار.

وهنا ملحظ جميل. فقد أورد الحق تبارك وتعالى. صفة إعراض المؤمنين عن اللغو عقب صفة خشوعهم فى الصلاة. وفى هذا إشارة جلية نتعلم منها أنه لا يكفى فى الإسلام الخوف من الله والخشوع والخضوع لجلاله فحسب ولكن لابد أن يقترن ذلك بتقوى الله عز وجل فى معاملة عباده وخاصة المسلمين منهم. وهذا إن دل على شيء فإنه إنما يدل على خطورة اللغو وشدة آثاره وتأثيره فى الأفراد والمجتمعات.

ثالثاً: وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ

أى يؤدون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين. طيبة بها نفوسهم. طلبا لرضى الله[١] (عز وجل) فعبر عن التأدية بالفعل لأنها مما يصدق عليه الفعل[٢] وهى لغة: النماء والتطهير. وشرعا: جزء مخصوص يخرج من مال مخصوص على وجه مخصوص[٣].

وليس المراد بالزكاة هنا الزكاة المفروضة. إنما المراد هو الصدقة لأن الزكاة المفروضة شرعت فى السنة الثانية من الهجرة. وسورة المؤمنون من السور المكية التى نزلت قبل الهجرة. قال الشوكانى فى فتح القدير «هى مكية بلا خلاف. قال القرطبى. كلها مكية فى قول الجميع»[٤].

---

(١) صفوة التفاسير ٩/ ٥٢.
(٢) فتح القدير ٣/ ٤٧٤.
(٣) دليل الفالحين ٤/ ٣.
(٤) فتح القدير ٣/ ٤٧٣.

فالسورة نزلت قبل الهجرة والزكاة شرعت بعد الهجرة يقول ابن حجر العسقلاني «وبدر كانت فى رمضان فى السنة الثانية وفيها فرض الصوم والزكاة بعد ذلك والحج بعد ذلك على الصحيح»[1].

فيكون المعنى المقصود: أن من صفاتهم كثرة البذل والعطاء. مرضاة لله عز وجل وهذا أبلغ فى صدق الإيمان وكمال اليقين. كون ما يؤدونه من الصدقات يؤدونه برضى نفس. بخلاف الزكاة المفروضة لأن فيها نوعا من الإلزام الجبرى إذا تحقق النصاب. أما الصدقات ففيها إيثار وحب مواساة يمدح الله عباده المخلصين فيقول: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾. ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾.

لذا رغب رسول الله ﷺ فى الإنفاق. فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا تلفاً» متفق عليه.

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: أنفق أنفق عليك. وقال: يد الله ملأى لا يغيضها - أى لا ينقصها - نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموا والأرض فإنه لم يغض ما بيده. وكان عرشه على الماء بيده الميزان يخفض ويرفع» متفق عليه.

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها.

وفى رواية: «آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» متفق عليه.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبى - ﷺ فقال:

---

(١) فتح البارى ١ / ٤٣.

إنى مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه. فقالت: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. ثم أرسل إلى أخرى. فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك. فقال: من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله. فقال لامرأته. أكرمى ضيف رسول الله ﷺ وفى رواية: قال: هل عندك شىء؟ قالت: لا. إلا قوت صبيانى. قال: فعلليهم بشىء. وإذا أرادوا العشاء فنوميهم. وإذا دخل ضيفنا. فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى النبى ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» متفق عليه.

فإذا كان من صفات المؤمنين كثرة البذل والعطاء والإكثار من التطوع بالصدقات فإنهم أيضاً يكونوا أكثر استجابة من غيرهم لتأدية فريضة الزكاة التى شرعها الله على عباده. وأوجبها عليهم بشروطها ونصابها.

رابعاً: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

هذا الوصف الرابع من صفات المؤمنين. أى أنهم عفوا عن الحرام وصانوا فروجهم عما لا يحل من الزنى واللواط وكشف العورات.

والفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة. ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم. قيل: والمراد هنا الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله ﴿ **إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ﴾ للإجماع على أنه لا يحل للمرأة أن يطأها من تملكه[1].

والذى أميل إليه وأطمئن له أن المراد هنا الرجال والنساء فيما يتعلق بالأزواج أما فى ملك اليمين فهو للرجال خاصة دون النساء.

---

(١) فتح القدير ٣/ ٤٧٤.

وبناء عليه يحرم على الرجال والنساء أمور هى :

الزنا - اللواط - كشف العورات - النظر إلى الأجانب والأجنبيات قال الله تعالى : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ٣].

وقال أيضاً : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٣٢]

وقال تعالى أيضاً : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة . العينان زناهما النظر . والأذنان زناهما الاستماع . واللسان زناه الكلام . واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا . والقلب يهوى ويتمنى . ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه واللفظ لمسلم .

وقال ابن بطال نقلا عن بعضهم : أطلق على كل مما ذكر زنا لكونه من دواعيه . فهو من من إطلاق اسم المسبب على السبب مجازاً قال : وذلك كله من اللمم الذى تفضل الله بغفره إذا لم يكن للفرج تصديق بها فإن صدقها الفرج كان ذلك كبيرة[١] .

وقال العلامة جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى : « معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيبه من الزنا فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج فى

---

(١) دليل الفالحين ٤ / ٤٧٥ .

الفرج. ومنهم من يكون مجازيا بالنظر المحرم ونحوه من المذكورات فكلها أنواع من الزنا المجازى والفرج يصدق ذلك أو بكذبه. أى إما يحقق بالفرج. أى بأن يحصل الإيلاج أولا بأن لا يحصل بذلك »[1].

وعن جرير رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: « أصرف بصرك » رواه مسلم.

لهذا كله نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزانى فقال فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » متفق عليه كما أخبر بحرمان الزانى من فضل الله العميم. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان. وملك كذاب وعائل – فقير – مستكبر » رواه مسلم.

وقد حذر الإسلام من الخلوة بالأجنبيات لخطورة ذلك فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار. أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت » متفق عليه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « لا يخلون أحدكم بأمرأة إلا مع ذى محرم » متفق عليه.

وأخرجه الطبرانى من حديث بريدة رضى الله عنه بلفظ « لا يخلون رجل بأمرأة فإن الشيطان ثالثهما ».

فالأزواج والزوجات يباح لكل منهما الاستمتاع بالآخر كما يباح للرجل الاستمتاع بالأمة التى يملكها. وماعدا ذلك فهم العادون. المجاوزون إلى ما لا يحل لهم وهؤلاء يقعون فى معصية تستوجب غضب الله عز وجل وعذابه الأليم.

---

(١) دليل الفالحين ٤ / ٤٧٦.

لهذا حكم الإسلام بإهدار دم الثيب الزانى كونه تعدى حدود الله فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث:

الثيب الزانى. والنفس بالنفس. والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الله يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه» رواه البخارى ومسلم.

وقال الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

خامساً: **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**

أى قائمون عليها بحفظها وإصلاحها. لا يخونون إذا ائتمنوا. ولا ينقضون عهدهم إذا عاهدوا[١].

وقد نقل الشيخ الصابونى فى صفوة التفاسير قول أبو حيان رحمه الله تعالى فى تفسير الآية: «والظاهر عموم الأمانات فيدخل فيها ما ائتمن الله عليه العبد من قول وفعل واعتقاد. وما ائتمنه الإنسان من الودائع والأمانات» أ.هـ.

وقد تناولت هذه الآية وصفين من صفات المؤمنين:

الأول: أنهم يحافظون على أماناتهم التى ائتمنهم الله عليها من القول والعمل والاعتقاد أو ائتمنهم عليها الناس كالودائع وغيرها.

الثانى: أنهم راعون لعهودهم التى عاهدوا الله أو الناس عليها فهاتان الصفتان من أرقى المثل وأرفع القيم التى شرعها الله عز وجل لعباده المتقين وهما صفتان متلازمتان إلا أن الأمانة أعم من حفظ العهد والوفاء به قال الله تعالى:
﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾

---

(١) صفوة التفاسير ٩ / ٥٢.

[الأنفال : ٢٧] وقال أيضاً : ﴿ إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الأَمَانات إلىٰ أهْلِها ﴾ [النساء : ٥٨] وقال ﴿ وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا ائتمن خان» متفق عليه وروى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين : خمس خصال إذا ابتليتم بهن – وأعوذ بالله من أن تدركوهن – لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم . فأخذوا بعض ما فى أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله . ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» لقد أستحق المؤمنون الوصف بهاتين الصفتين لما لهما من آثار عظيمة تعود بالخير والنفع على الفرد والجماعة فى الدين والدنيا والآخرة .

سادساً : وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

قرأ الجمهور «صلواتهم» بالجمع . وقرأ حمزة والكسائى «صلاتهم» بالافراد ومن قرأ بالإفراد فقد أراد اسم الجنس وهو فى معنى الجمع . والمحافظة على الصلاة إقامتها والمحافظة عليها فى أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من أذكارها[١] .

وتشمل الصلاة المفروضة والسنن الراتبة والنفل المؤقت وذا السبب والنفل المطلق المؤكد منه والمستحب .

والمعنى المراد هنا أن المؤمنين يحافظون على إقامة الصلاة كاملة بركوعها

---

(١) فتح القدير ٣/ ٤٧٤ .

وسجودها فى خشوع وخضوع وذلك فى أول أوقاتها . وهذا وجه مدحهم بهذا الفضل . .

أما أنهم يؤدونها فى أول وقتها وفى منتصفه وفى آخره فإنهم لا يميزون بذلك . كون المسلمون جميعاً مشتركين فى هذا . ولكنهم يحافظون على أدائها فى أول وقتها أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ..... وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ قال : ذلك على مواقيتها . قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على تركها . قال : تركها كفر » ذكره الشوكانى فى فتح القدير .

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : « حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادنى » .

ونقل الشيخ الصابونى عن صاحب التسهيل قوله : « فإن قيل : كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها . وذكر هنا المحافظة عليها فهما مختلفان[١] .

والمحافظة على الصلوات مما أكد عليه الشرع الشريف . لأن الصلاة عماد الدين . وأهم أركان الإسلام بعد الشهادتين . كما أنها خطاب يومى يتكرر خمس مرات فى اليوم والليلة من العبد لربه عز وجل . فالمحافظة عليها وآدائها فى أول أوقاتها دليل صدق الإيمان وكمال اليقين .

لذا كان الأمر القرآنى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

---

(١) صفوة التفاسير ٩ / ٥٣ .

وهى أول ما يسأل عنه العبد من الأعمال فإن قبلت . قبلت منه سائر أعماله . وإن ردت . رد عليه سائر أعماله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . فإن صلحت فقد أفلح وأنجح . وإن فسدت فقد خاب وخسر . فإن انتقص من فريضته شيئاً . فقال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل بها ما أنتقص من الفريضة . ثم يكون سائر أعماله على ذلك »[1] رواه الترمذى .

والحديث حول المحافظة على الصلاة يطول ويتشعب ولكن يكفينا هذا القدر اليسير . فالمؤمن يكفيه إشارة موجزة . أما المعاندين والجاهلين فالحديث معهم يطول . ولكنا والحمد لله نخاطب المؤمنين الصادقين ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .

الجزاء : أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة والجامعون لها هم وحدهم المستحقون وراثة جنة النعيم . فهم يرثون أعالى الجنة التى تتفجر منها أنهارها . والفردوس يتوسط الجنة وهو أعلاها أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس . فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » .

وقد منَّ الحق تبارك وتعالى وتفضل على عباده المؤمنين بهذا الجزاء الأوفى لأنهم عاشوا أيامهم ولياليهم فى شغل شاغل لرضا الله عز وجل ورضاء الله تبارك وتعالى كلفهم الجهد الكبير والعمل الكثير . فقد كان الله سبحانه وتعالى يراهم دائماً حيث أمرهم ولا يراهم حيث نهاهم . فاستحقوا بذلك كرمه وسعة فضله ورحمته فكانوا هم الفائزون . لأن الله تعالى رضى عنهم ورضوا عنه . وذلك لمن

---

(١) أخرجه الشيخ عبد الحى فخر الدين الحسنى فى تهذيب الأخلاق ص ١٣٦ .

خشى ربه . لأنهم أهل السمع والطاعة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥١ ، ٥٢] .

اللهم أحشرنا فى زمرة نبيك المصطفى ﷺ وأسكنا الفردوس الأعلى من الجنة . بفضلك وجودك يا كريم يا واسع الفضل والعطاء .

أثر هذه الصفات فى الفرد والمجتمع :

إن هذه الأوصاف الجليلة التى وصف بها المؤمنون لها آثار عظيمة وفوائد جليلة تعود على الفرد والمجتمع بالخير والرفاهية والقوة والعظمة . لأن المؤمنين أفراد صالحين يشكلون مجتمعا صالحا قويا ومتماسكا .

أثرها فى الفرد :

١ – تربى الفرد على التمسك بالقيم والمثل العليا .

٢ – الالتزام بمبادىء الدين والمحافظة على آداء فرائضه بخشوع وخضوع وتذلل لله رب العالمين .

٣ – تعايش الفرد فى سلام مع كل من حوله ورفع أذاه عنهم .

٤ – يعيش الفرد المؤمن حياته كلها بين الخوف والرجاء .

٥ – رفع الأذى عن نفسه وإبعادها عن كل ما يضرها .

أثرها فى المجتمع :

١ – تحقيق الأمن والأمان لجميع أفراد المجتمع .

٢ – تضامن أبناء المجتمع المسلم ووحدتهم .

٣ – خلو المجتمع من الأضرار الخلقية والصحية .

٤ – ارتفاع وسمو المجتمع نحو التقدم والرفاهية .

٥ – إقامة العدالة الاجتماعية وتحقيق التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع.

أثرها فى تحقيق السعادة الأخروية:

إن المؤمنين الذين يتحلون بهذه الصفات الجليلة. يحققون لأنفسهم بذلك السعادة فى الدارين. وليس لهم عند ربهم جزاء أقل من دخول الجنة والتمتع بنعيمها الأبدى. والنصوص الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات. هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شىء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» متفق عليه.

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر» رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» رواه البخارى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكائه مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه – يعنى شدقيه – ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾ آية متفق عليه.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة. كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل فى دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة. والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة» متفق عليه.

وروى ابن ماجة عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ

قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإتياء الزكاة. مات والله عنه راض».

إن التحلى بهذه الصفات يُحقق السعادة الأخروية. لأنها تجلب رضا الله عز وجل وتجعل العبد دائماً فى حالة توبة دائمة وصلح مع الله تعالى وإذا رضى الله عز وجل على عبد كان جزاؤه النعيم المقيم فى جنات تجرى من تحتها الأنهار.

قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] وهؤلاء المؤمنون يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله. إمام عادل وشاب نشأ فى عباده الله عز وجل. ورجل قلبه معلق فى المساجد. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال. إنى أخاف الله. ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» متفق عليه.

فأى سعادة أفضل من ميراث الفردوس الأعلى من الجنة؟

فالمؤمنون الذين يتقون الله حقا وصدقا. أولئك سينالون من الله الجزاء الأوفى والنعيم المقيم. لأنهم قد التزموا بأوامر الشرع الشريف وابتعدوا عن النواهى. مما ألزمهم جهداً وتعباً ومشقة يبذل الله تعالى لهم من أجل ذلك الأجر الجزيل والنعيم المقيم لأنه الجواد الكريم.

* * *

الفصل الثاني

المجتمع المسلم (مبادىء وأحكام)

إن المجتمع المسلم مجتمع يسوده العدل والرحمة والمودة والمساواة والمؤاخاة إنه مجتمع الإيمان والأمن والسلام مجتمع التكافل والتناصر والتعاون والمحبة والصدق والوفاء.

وقد صور الله تعالى الإنسان المسلم الكامل في آيات عديدة. نذكر منها ما نزل في الذكر الحكيم. قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا * وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا

كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً *وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٨].

ففى هذه الآيات صورة كاملة للإنسان الكامل الذى عمل بما تضمنته من مثل عليا وصفات سامية تبين حقيقة العلاقة بين العبد وربه والإحسان إلى الوالدين وصلة ذى الأرحام ومد يد العون إلى الفقراء والمحتاجين والاقتصاد فى النفقة والمعيشة ثم نهى الله عن ارتكاب المعاصى والآثام، كما دعا إلى التمسك بالقيم والأخلاق والتواضع ونهى عن الكبر والخيلاء. فإذا تحققت هذه الصفات فى إنسان ما كان كاملا سليما معا فى ذا شخصية كاملة وقوية تجعله دائماً محل الإعجاب والتقدير من الآخرين. وإليك مزيد بيان:

علاقة المسلمين بالمسلمين

إن محمداً رسول الله ﷺ هو خاتم الرسل. بعثه الله تعالى برسالة هى خاتمة الرسالات التى سبقتها، وهى صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والإسلام نعمة كبرى من الله تعالى منَّ بها على عباده لهدايتهم. والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والهدى. فكان دينا ودنيا. نظم علاقة المخلوق بالخالق عز وجل. وعلاقة المخلوق بالمخلوق وكان من خصائص شريعته الخاتمة أن جاءت بتعاليم تنظم كل أنواع السلوك الإنسانى وتحدد معالمه فنظمت علاقة الفرد بالفرد. وعلاقة الفرد بأسرته. وعلاقته بالمجتمع. كما تنظم علاقة الحاكم بالمحكوم. وعلاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول المسلمة وغير المسلمة سلماً وحرباً. ونظمت علاقة الجميع بالخالق عز وجل.

لقد بينت الشريعة الإسلامية كل هذه المسائل ببيان أحكام جزئياتها

وتحديد أطرها ليكون الناس على علم ومعرفة بأحكام دينهم من الأوامر والنواهى .

والشريعة الإسلامية تؤخذ من أصلين عظيمين فيهما الهداية والنور لكل البشر . هما : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وسنة نبيه ﷺ التى هى أقواله وأفعاله وتقريراته وأوصافه ﷺ منهما تؤخذ الأحكام . وإليهما يرجع المسلمون في كافة شئونهم الدينية والدنيوية قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه فى تفسيرها(١) .

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ يعنى - والله أعلم - هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ يعنى - والله أعلم - إلى ما قال الله والرسول إن عرفتموه . وإن لم تعرفوه سألتم رسول الله ﷺ عنه إذا وصلتم إليه . أو من وصل إليه لأن هذا الفرض لا منازعة لكم فيه . لقول الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

يقول : ومن تنازع ممن بعد عن رسول الله ﷺ رد الأمر إلى قضاء الله . ثم إلى قضاء رسول الله ﷺ . فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصا فيهما . ولا فى واحد منهما . ردوه قياسا على أحدهما أ.هـ.

وقال ﷺ فى حجة الوداع : «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم . ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فأحذوره إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه»(٢) .

---

(١) أحكام القرآن ١ / ٣٠ .   (٢) رواه الحاكم وروى مثله مالك فى الموطأ .

هذا وعلاقة المسلمين بعضهم ببعض تأخذ أشكالا مختلفة وصوراً متعددة يصعب حصرها لضيق مساحة هذا البحث – فى عدد معين. لأن له علاقة بوالديه وله علاقة بزوجة وله علاقة بأولاده وله علاقة بأقاربه على مختلف درجات القرابة. وله علاقة بجيرانه. القريب منهم والبعيد. وله علاقة بزملائه فى العمل وله علاقة برجل الشارع وله علاقة بشريك فى تجارة أو فى زراعة. وله علاقة الرئيس بمرءوسه والمرءوس برئيسه وله علاقة بالمجتمع الذى يعيش فيه وله علاقة بالدولة... إلخ.

وكلها علاقات نظمها الإسلام وأصدر فيها توجيهاته الحكيمة. وبين أحكام كل ما يمكن أن يتولد عن هذه العلاقات من أمور. كما بين آثار كل منها التى تعود على الفرد والجماعة ومادام الأمر فيه صعوبة فى حصر ملامح هذه العلاقات فسوف نذكر بعض ملامح علاقات المسلمين بعضهم ببعض فى إيجاز غير مخل بالمعنى ليمكننا التعرف على شكل وحجم علاقات المسلمين بالمسلمين.

أولا: المسلمون إخوة:

الأخوة الإسلامية رابطة مقدسة تربط المسلمين جميعاً بعضهم ببعض. فالمسلم أخ المسلم. مهما تباعدت ديارهم أو تقاربت أماكن إقامتهم. اختلفت أجناسهم أو اتفقت. اتحدت لغتهم أو تعددت. فالجميع أخوة.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠].

وحق هذه الأخوة يفرض على المرء جملة من الآداب يبينها الله عز وجل فى قوله:

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحق هذه الأخوة يفرض على المرء جملة من الآداب يبينها عز وجل في قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره. التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[١].

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وفيهما أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه.

ويقول أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي[٢]:

ومما للمسلم على المسلم أن يستر عورته. ويغفر زلته. ويرحم عبرته. ويقيل عثرته. ويقبل معذرته ويرد غيبته. ويديم نصيحته. ويحفظ خلته. ويرعى ذمته. ويجيب دعوته. ويقبل هديته. ويكافىء صلته. ويشكر نعمته. ويحسن

---

(١) ذكره الإمام النووي في الأربعين النووية. (٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٩٠.

نصرته. ويقضى حاجته. ويشفع مسألته. ويشمت عطسته ويرد ضالته. ويواليه. ولا يعاديه. وينصره على ظالمه. ويكفه عن ظلمه غيره. ولا يسلمه. ولا يخذله ويحب له ما يحب لنفسه. ويكره له ما يكره لنفسه أ. هـ.

ويقول السيد محمد رشيدرضا فى التفسير(١): هذه الأخوة التى جعلتهم يقاسم بعضهم بعضا فى ماله ودياره. فقاسم المهاجرون الأنصار فى أموالهم وديارهم حتى كان بعضهم يؤثر غيره بالشىء وهو فى حاجة إليه. بعد ما كان بينهم أيام الجاهلية من صنوف العداوة والبغضاء وما كان بينهم من سفك الدماء. حتى لقد استمرت الحرب فيهم بين جماعتين هما الأوس والخزرج مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله عز وجل على يد محمد ﷺ. أهـ. وإذا كانت أمة الإسلام تربطها رابطة الأخوة فى الدين والإيمان فإنه يجب عليهم أن يكونوا بعيدين عن التفرق. وأن ينبذوا كل ما يمكن أن يؤدى إلى التفرق والاختلاف اللذين ينهانا عنهما ربنا عز وجل فى قوله: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ثانياً: احترام حق الحياة:

حياة الإنسان هى أغلى ما يملك. لذا أمر الإسلام بصيانتها عن التلف والهلاك وحدوث الضرر والأذى، وقد شددت الشريعة الإسلامية فى هذا تشديدا يهدف إلى صيانة هذه الحياة التى كرمها الله عز وجل.

ولما كانت هناك أمور تضر بحياة المرء أو تقضى عليها فقد جعل الإسلام لكل أمر حكمه وذكره فى وعيد شديد أو فى ترهيب أكيد. لكى يتنبه المسلمون فلا يخطوا خطوات آثيمة قد تضر بأنفسهم أو تضر بحياة الآخرين من المسلمين. وسنذكر بعضها فيما يأتى:

لقد حرم الله تعالى قتل النفس الإنسانية. وتوعد القاتل بسوء المنقلب فقال

(١) تفسير المنار جـ ٤ ص ٢١، ٢٢.

تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات – أى المهلكات – قيل : يا رسول الله . وما هن؟

قال : « الإشراك بالله . والسحر – وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم . والتولى يوم الزحف . وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وأخرجا أيضاً عن أنس رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال : « الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس . . . » الحديث .

روى البخارى : (الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) وروى الإمام أحمد والنسائى وغيرهما : أنه ﷺ سئل عن الكبائر قال : « الإشراك بالله . وقتل النفس المسلمة والفرار يوم الزحف » .

وروى البخارى : « لن يزال المؤمن فى فسحة من دنيه ما لم يصب دما حراما » .

وروى البيهقى : « من أعان على دم امرىء مسلم ولو بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله » .

والأحاديث غيرها كثيرة فى عظم قتل المسلم وخطورة ذلك لأن فى قتل الإنسان إفسادا للصورة الإنسانية المخلوقة فى أحسن تقويم مما يضر بأمن المجتمع وإرهاب أفراده لذا فإنه لا يحل أن يراق دم امرىء مسلم إلا إذا ارتكب جرما يوجب اراقة دمه كما ورد فى الحديث فيما رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : « الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » واللفظ لمسلم .

فإذا ارتكب أحد هذه الأمور فإنه يجب على الحاكم أن يقتله بها لما فيه من المصلحة العامة وهى حفظ النفوس والأديان والإنساب إلا أن يعفو صاحب الدم أو يتوب المرتد ويعود إلى الإسلام. دون الثيب الزانى فإنه لا تقبل توبته عند الحاكم أو القاضى لأن جريمة الزنا أكثر ضررا وأشد شناعة لما فيها من انتهاك للأعراض واختلاط للأنساب وفساد للقيم والأخلاق وتعد على الحرمات. لذا فهى تحدث ضرراً كبيراً بالمجتمع مما لا يجوز معه إسقاط العقوبة التى قدرها الشرع الشريف.

وليس هذا الوعيد الأخروى فى قتل المسلم فقط. بل ورد أيضاً فيمن يقتل غير المسلم ظلما وعدوانا قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما»[١].

وقال النبى ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة. وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء»[٢].

قال العلامة ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى[٣]: وفى هذا دليل واضح على عظم أمر القتل والاعتداء على النفوس لأن الابتداء بأمر إنما يكون لأنه أهم من غيره من الأمور. أ. هـ.

ولخطورة أمر القتل وشناعته أوجب الإسلام معاقبة كل من يعتدى على امرأة حامل ويتسبب فى إسقاط حملها بأن يدفع دية وهى: غرة عبد أو أمة كما نص عليه فى الفقه الإسلامى وكما ثبت ذلك من قضاء النبى ﷺ. وما قضى به على رضى الله عنه فى عهد عمر رضى الله عنه وكذا يجب تأخير العقوبة وهى الرجم على المرأة الثيب الزانية حتى تضع حملها. فقد روى أن امرأة جاءت إلى

(١) صحيح البخارى ٤ / ١٩٤.
(٢) أخرج الحاكم جزاه الاول عن تميم الدارى رضى الله عنه.
(٣) جـ١٢ / ١٥٧.

رسول الله ﷺ وأخبرته أنها زنت وهى حامل فقالت: يا رسول الله. أصبت حدا فأقمه عليَّ. فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال له: أحسن إليها. فإذا وضعت فائتنى. ففعل. فأمر بها رسول الله ﷺ فشدت عليها ثيابها. ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليه. فقال له عمر: تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت؟ فقال عليه الصلاة والسلام. «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله»(١)؟

كذلك أوجب الإسلام على المرأة أن ترضع وليدها إذا امتنع عن الرضاع من غيرها حتى لا تتعرض حياته للخطر كما حكاه ابن العربى المالكى فى أحكام القرآن. ويجب إنقاذ حياة الشخص المشرف على الهلاك. روى عن النبى ﷺ قال: «أيما مسلم أضاف قوما فأصبح محروما. فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه وما له»(٢).

قال الخطابى: يشبه أن يكون هذا فى الذى يخاف التلف على نفسه ولا يجد ما يأكل. فله أن يتناول من مال أخيه ما يقيم نفسه. وقد اختلف فقهاء الإسلام فى مثل هذا الشخص هل عليه أن يدفع ثمن ما أكل أم ليس عليه ذلك ولذلك أباح الشرع الحكيم للمضطر أن يأكل لحم الميتة التى حرمها الله تعالى. فإذا أشرف شخص على الهلاك بسبب الجوع ولا يجد ما يأكله سوى لحم الميتة. فإنه يباح له أن يأكل منها بقدر ما يسد رمقه ويذهب جوعته قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

وإذا ما ارتكب الإنسان جريمة القتل، فإنه يجب أن يقتص منه قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

---

(١) نيل الأوطار ٧/ ١١٨.
(٢) أخرجه الحاكم عن المقدام بن أبى كريمة. وصححه الذهبى.

وهناك أمران حرمهما الله ورسوله لخطورتهما وشناعتهما وهما . وأد البنات والانتحار فأما فى الأولى فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [التكوير : ٨ ، ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ** ﴾ [الإسراء : ٣١] .

وفى الثانية قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا** ﴾ [البقرة :١٩٥] .

وقال رسول الله ﷺ « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا »(١) .

ولما كان فى شرب الخمر جناية على العقل حرمها الله تعالى وجعلها قرينة الميسر والأوثان فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة : ٩٠] .

وأباح الإسلام للحامل الفطر فى رمضان إذا خافت على نفسها أو خافت على حملها وكذا المرضع . وذلك خوف حدوث الضرر بالجنين أو الرضيع والمرأة .

وهكذا يحرم الإسلا القتل وينهى عن الأخذ بأسبابه ويتوعد مرتكبه بأشد ألوان العذاب . وذلك لضرره البالغ بأمن المجتمع . وقطع حياة الإنسان الذى كرمه الله عز وجل .

ثالثاً : صيانة الأعراض :

للأعراض حرمتها فى الإسلام . وصيانة الأعراض عن الانتهاك بالتعدى عليها . أمر أولته الشريعة الإسلامية الاهتمام البالغ . وقررت من الأحكام ما يردع المعتدى وكل من تسول له نفسه بما يؤدى إلى صيانة الأعراض ورعاية حرمتها .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة عن أبى هريرة .

وقد مدح الله تعالى المؤمنين بذكر صفاتهم في القرآن الكريم ومنها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧].

والأعراض تنتهك بارتكاب جريمة الزنا واللواط. ويساء إليها ويخدش حياءها القذف بالرمى بالزنا وبكل ما يسيء إلى سمعة المرء من الاتهام بمباشرة أسباب الزنا ولما كان من الواجب صيانة الأعراض عن كل ما يهدد كرامتها. رأينا القرآن الكريم يأخذ منها موقفاً متشدداً يحمى به الأفراد والمجتمعات من فعل السوء وقالة السوء. لأنه أولاً وأخيراً يضر بالمجتمع ضرراً بالغًا بظهور الفاحشة مما يبعث على الانحلال الخلقى. والضعف الجسدى وقد جاء فى الزنا قول الله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥ – ١٦] وقوله عز وجل ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢، ٣] يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى[١].

وينبغى أن يعلم هنا:

أولاً: أن كثيراً من العلماء يرى أن ما تضمنته آية النساء كان هو العقوبة أولا لجريمة الزنا. ثم جاءت عقوبة الجلد المذكورة فى آية النور بدلاً منها. ونقل الرازى

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٨٢، ٢٨٣.

عن أبى مسلم الأصفهانى – وهو ممن لا يرون وقوع النسخ فى القرآن – أن الآية الأولى منهما وهى قوله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾ خاصة بجريمة المرأتين إحداهما مع الأخرى[1] وعقوبتها كما جاء في الآية. الحبس إلى الموت. وأن الآية الثانية. وهى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ ﴾ خاصة بجريمة الرجلين أحدهما مع الآخر[2] وعقوبتها كما نطقت الآية الإيذاء بالقول والفعل وأن آية النور وهى قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي.. ﴾ خاصة بجريمة الرجل مع المرأة وعقوبتها الجلد. وبذلك يكون القرآن فى نظر أبى مسلم الأصفهانى قد استكمل عقوبة الجناية على العرض فى جهاتها الثلاث. وتكون الآيات كلها محكمة لا نسخ فى شىء منها.

ثانياً: أن الفقهاء حملوا آية النور على غير المحصن. وبينوا فى كتبهم شروط الإحصان ومصادرها. أما المحصن فقد قرروا أن عقوبته الرجم أخذا من عمل الرسول ﷺ ومن أحاديث وردت فى هذا الشأن.

وقد أنكر الخوارج الرجم. واحتجوا بوجوه أوردها الفخر الرازى فى تفسيره ولعلهم أنكروا أنه تشريع عام دائم. واعتبروا أن ما حصل من الرسول ﷺ كان على سبيل السياسة والتعزير. كما يرى الحنفية فى تغريب غير المحصن.

ثالثاً: أن كثيراً من العلماء حمل آية: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً... ﴾ على مجرد التنفير من تزوج البغى. وعليه لا تكون من آيات العقوبة أ. هـ.

والبعض يرى فى الآية تحريم الزواج بالزانية والمشركة لصريح القرآن ﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وممن قال بذلك العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه زاد المعاد. وهذا يعنى أن للزنا عقوبة أخرى أدبية بعد تنفيذ العقوبة المادية. وهى أثر للعقوبة المادية الأصلية لجريمة الزنا وإذا كانت عقوبة الزانى المحصن هى الرجم

---

(١) أى السحاق أو المساحقة (٢) اللواط.

بالحجارة حتى الموت . وعقوبة غير المحصن هى الجلد مائة وتغريب عام كما ثبت فى القرآن والسنة . أما الرجم فهو ثابت بالسنة فقط روى البخارى عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : « سمعت النبى ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة . والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

فالجلد والتغريب للبكر . والجلد والرجم لغيره : وعلى هذا بعض الصحب والتابعين ولكن الجمهور والأئمة الأربعة على أن الثيب عليه الرجم فقط لأنه أكبر حد وللاقتصار عليه فى بقية الأحاديث[١] .

ولا تسرى هذه الأحكام على المسلمين فقط . وإنما هى أيضا تسرى على أهل الذمة .

فقد روى الخمسة عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أتى يهودى ويهودية قد زنيا إلى النبى ﷺ فانطلق إلى يهود فقال : ما تجدون فى التوراة على من زنى ؟ قالوا : نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما . قال : فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين . فأتوا بها فقرءوها حتى إذا جاءت آية الرجم سترها الذى يقرأ بيده وقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال عبد الله بن سلام وهو مع النبى ﷺ : مره فليرفع يده . فرفعها . فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ . فرجما قال ابن عمر : كنت فيمن رجمهما . ورأيت الرجل يقى المرأة من الحجارة بنفسه » .

وورد فيمن عمل عمل قوم لوط ما رواه أصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » ولفظ النسائى : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

---

(١) التاج جـ/ ٢٤ .

وللترمذى بسند حسن: «إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط».

فالحديث الأول يأمر بقتلهما برميهما من مكان عال أو بهدم بناء عليهما كذا قيل.

وقال مالك وأحمد: إن اللوطى يرجم محصنا أولاً. وقال الكوفيون والشافعى: إن حكم الفاعل كحكم الزانى. وعلى المفعول به جلد مائة ونفى سنة محصنا أولاً. ذكرا أو غيره.

وللترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه. قلت لابن عباس: ما شأن البهيمة؟ قال. ما أراه قال ذلك إلا أنه كره أن يؤكل لحمها وقد عمل بها هذا العمل» ورواه أبو داود مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس ولذا كان ضعيفاً. ولم يأخذ به الأئمة الأربعة فقد رأوا أن من أتى بهيمة يعزره الحاكم فقط ولا تقتل البهيمة ولا يقتل الفاعل.

هذا وقد قرر علماء الشافعية: أن الزنا بغير المسلمة أشد حرمة من الزنا بالمسلمة. وذلك لأن المسلم قد وضع ماءه المحترم فى مكان غير محترم كما نص عليه فى كتب الفقه عندهم.

وأما ما من شأنه الإساءة إلى سمعة الناس والاعتداء على كبريائهم فإن القرآن الكريم لم يهمله أيضاً. فقد قال الله عز وجل فى القذف: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [النور: ٤ - ٩].

وتثبت صحة الدعوى بالزنا أو بالقذف بأحد أمرين:

الأول: الإقرار والاعتراف.

الثاني: شهادة أربعة شهود تتفق فيهم شروط الشهادة.

وإذا كان القاذف هو الزوج ولا يجد شهوداً على صحة دعواها. حل اللعان محل الشهود وهذه المسائل مبينة بتفصيل فى كتب الفقه ولا يسمح المجال بذكرها هنا.

وهكذا يعمل الإسلام على صيانة الأعراض ويحافظ على سمعة الناس. ولا يخفى علينا ما لهذا من أثر كبير فى المجتمع الإسلامى.

رابعاً: صيانة الأموال من السرقة والأمن العام من الإفساد فى الأرض من قطاع الطرق:

قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨ - ٣٩].

يجب على الدولة أن تصون أموال الأفراد والجماعات فى المجتمع الإسلامى حتى لا يستولى عليها العابثون واللصوص، ولذلك شرع الإسلام من الأحكام ما يصون للناس حقوقهم وما يردع به من يستولى عليه بدون وجه حق كالسرقة وخلافه. ولذا نرى:

١ - أن الإسلام يأمرنا بحفظ أموال اليتامى والضعاف حتى يقووا ويستطيعوا إدارة أموالهم. يقول الله تعالى: ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [النساء: ٦].

وقال تعالى: ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** ﴾ [النساء: ١٠].

٢ - يأمرنا بأن لا نأكل أموالنا بالباطل فقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما * ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

٣ - ويأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نشهد على أموالنا عند إقراضها. فيقول: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤- ولذلك جعل الإسلام عقوبة من يتعدى بالسرقة على أموال الناس أن

تقطع يده كما قررها الله عز وجل فى كتابه ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ .

أما هؤلاء الذين يقطعون الطريق ويروعون الآمنين ويستولون على أموال الناس بالباطل فهم أربعة أقسام :

الأول : أن يخيفوا الناس من غير أن يأخذوا مالا ولا يقتلوا نفسا :

فهؤلاء عقوبتهم الحبس أو غيره من العقوبة التى يقدرها الحاكم صيانة للمجتمع من العبث .

الثانى : أن يأخذوا من الناس أموالهم ولا يقتلوا أحدا :

وهؤلاء إن استولوا على قدر من المال يساوى القدر الذى يجب فيه قطع يد السارق وهو ربع دينار من الذهب الخالص المصكوك كما روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال (تقطع يد السارق فى ربع دينار) .

فإن عقوبتهم هى قطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى . فإن عادوا لمثلها قطعت اليد اليسرى والرجل اليمنى .

وأما إذا لم يكن المال قدر ما تقطع فيه اليد . رجح الشافعية عدم قطع الأيدى والأرجل وقالوا : بل يعذرون .

الثالث : أن يقتلوا ولا يأخذوا مالا :

فهؤلاء عقوبتهم القتل وهذه العقوبة متحتمة ولا يجوز لولى الدم أن يعفو عن القصاص لأن هذا ليس حقه وحده وإنما هو حق المجتمع كله . والعفو جائز فى غير قطاع الطريق .

الرابع : أن يقتلوا ويأخذوا المال :

فهؤلاء يقتلوا ويصلبوا .

فإن تاب قاطع الطريق قبل أن يتمكن الحاكم منه فإن الحدود تسقط عنه . ولكن حقوق الإنسان فى المال والقصاص لا تسقط أبداً .

قال الله تعالى: ﴿ **إنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٣ ، ٣٤].

ومن توجيهات الإسلام أيضاً: رد الأمانات لأصحابها كاملة والمحافظة على حقوق الورثة والحجر على السفيه المبذر لماله وتحريم الربا والرشا وأن لا نمنع أحدا حقه فنرد الدين ونؤدى زكاة المال وندفع للدولة الضرائب وخلافه ممن يقرره الحاكم لصالح المجتمع.

خامساً: الصدق فى المعاملة:

لا يكمل إيمان المرء حتى يلتزم بالصدق فى كل أقواله وأفعاله. فلا ينطق بالكذب لسانه. ولا تعمل بالزور الباطل جوارحه. لتكون العلاقات بين الأفراد والجماعات مبنية على أساس من الصفاء والنقاء. فلا يشوبها شيء من غش أوزيف أو خداع يقول ربنا عز وجل فى كتابه الكريم ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٩].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ بفعل الواجبات وسائر المأمورات وترك المحرمات ﴿ **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ فى الأيمان والعهود والأقوال.

فعن عبد الله رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدى إلى الفجور. وإن الفجور يهدى إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» رواه الأربعة.

ومما يدل على أن للصدق أهمية كبرى أن الله قد جعله شرطا من شروط

النبوة. وهو مما اشتهر به النبى ﷺ قبل النبوة فقد كان يعرفه قومه بأنه: الصادق الأمين ولذلك حرم الله تعالى الكذب وجعله صفة من صفات المنافقين.

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وإذ عاهد غدر» وفى رواية: «وإذا خاصم فجر».

ومن صور الكذب: شهادة الزور وقول الزور. روى البخارى عن أبى بكرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله. وعقوق الوالدين. وجلس وكان متكئا. فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت ومما يتنافى مع الصدق: الغيبة والنميمة واليمين الكاذبة وكلها صو ر أخلاقية قبيحة إذا ما فشت فى المجتمع فإنها تقوض بنيانه وتقضى على أبنائه وتحولهم إلى جماعات منحلة أخلاقيا وغير منضبطة فى السلوك. وهى أمور يعانى منها المسلمون كثيراً فى هذه الأيام.

سادساً: أمرهم شورى بينهم:

أما الشورى فهى أساس الحكم الصالح. وهى السبيل إلى تبيين الحق ومعرفة الآراء الناضجة أمر بها القرآن الكريم. وجعلها عنصرا من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ففى الكتاب الكريم سورة عرفت باسم (سورة الشورى) وقد سميت بذلك لأنها السورة الوحيدة التى قررت (الشورى) عنصراً من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ونظمتها فى عقد. حياته طهارة القلب بالإيمان والتوكل وطهارة الجوارح من الإثم والفواحش ومراقبة الله بإقامة الصلاة. وحسن التضامن بالشورى والإنفاق فى سبيل الله. ثم عنصر العزة والانتصار على البغى والعدوان. وذلك فى قوله تعالى من تلك السورة ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ**

وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٣٩] وقد نزل بعد أن أصيب المسلمون في غزوة أحد بما أصيبوا. أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما يطرأ لهم من الشئون ربطا للقلوب. وتقريراً لما يجب بين المؤمنين من حسن التضامن في سياسة الأمور وتدبير الشئون. وذلك قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران: ١٥٩][١]
أ. هـ.

وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في بعض الأمور التي لم ينزل فيها وحي. وكان يأخذ برأي أصحابه. كما حدث في غزوة بدر عند ما أختار مكانا نزل فيه بالجيش فأشار عليه الحباب بن المنذر أن ينزل بدراً لأنها أنسب مكان لإدارة العمليات الحربية. وقد نزل الرسول الله ﷺ على رأيه. لأن الحباب رضى الله عنه كان مصيبا في قوله من وجهة النظر العسكرية وكان رضى الله عنه من القادة العسكرين المبرزين وكذلك استشار النبي ﷺ أصحابه في مسألة أسرى بدر. فأشاروا عليه. ولكن اختار من بين الآراء رأى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه. فعوتب النبي ﷺ من ربه لاختياره رأى أبى بكر وكان من المناسب والأصوب أن يختار رأى عمر رضى الله عنه لأنه رأى فيه شدة تناسب المقام والمقام مقام حرب. فلابد أن يظهر المسلمون عزتهم وقوتهم وتخويفهم للمشركين بقتل الأسرى. فأنزل الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن

(١) أ. هـ كلام الشيخ شلتوت في الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٣٨، ٤٣٩.

فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧ – ٦٨] .

وكذلك كان الخلفاء من بعده يعقدون مجلس الشورى ليتبين لهم الرأي الأصوب فالشورى من ألزم الواجبات على صاحب الأمر فكان أبو بكر يعمل بها وكذلك عمر وأحيانا كان ينزل عن رأيه وروى عنه ذلك كثيراً وحسبه أنه القائل فى هذه المواطن (لولا على لهلك عمر) وكانت الشورى مما يأخذ به عثمان وعلى رضى الله عنهما .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن والسنة قد دعيا إلى الشورى كونها نظاما فطريا فالإنسان بطبعه يكره الاستبداد ولا يحب المستبدين . لأن الاستبداد بالحكم والرأى واحتكار التشريع والتصريف والإدارة . لا يحقق للفرد كرامته الفكرية . ولا يحقق للجماعة حقها الطبيعى فى تدبير شئونها .

لذا حث الإسلام على الأخذ بمبدأ الشورى وشدد عليه حتى لا تسلب الحقوق ولا يحجر على الأفكار الإنسانية وحتى لا تتردى الأمة إلى الهاوية .

والملاحظ هو أن الإسلام لم يحدد للشورى شكلا معيناً ولم يضع لها صورة خاصة وإنما هو أمر بالمبدأ وبضرورة المحافظة عليه . وقد ترك تحديد الشكل القانونى للشورى للدولة لأن ذلك يختلف باختلاف الظروف واختلاف الزمان والأحوال . وهذا الأمر من محاسن الشريعة الإسلامية . ومن أحسن مبادئها العظيمة .

سابعاً : التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

يقصد بالتكافل الاجتماعى فى معناه اللفظى كما قال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى[1] : « أن يكون آحاد الشعب فى كفالة جماعتهم . وأن يكون كل قادر أو ذى سلطان كفيلا فى مجتمعه يمده بالخير . وأن تكون كل

---

(١) التكافل الاجتماعى فى الإسلام ص ٤ .

القوى الإنسانية فى المجتمع متلاقية فى المحافظة على مصالح الآحاد. ودفع الأضرار. ثم فى المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعى وإقامته على أسس سليمة».

وقد وردت هذه المعانى كلها فيما روى عن النبى ﷺ من الأحاديث التى تدعو إلى التكافل الاجتماعى بين المسلمين وتحث عليه منها:

روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولمسلم: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله. وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».

وروى الشيخان والترمذى عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك بين أصابعه».

فهذه المعانى التى وردت فى الأحاديث من التواد والتراحم والتعاطف كلها تدعو إلى كل ما يجلب الألفة والمحبة والمودة. كما تبين أن البناء لا يقوم إلا بتماسك أجزائه كذلك المؤمنون لا يظهر أمرهم ولا يقوى شأنهم إلا بتعاونهم واتفاقهم مما هو من أصل النجاح ورأس السعادة. يقول الشيخ أبو زهرة[1].

وللتكافل الاجتماعى فى مغزاه ومؤداه أن يحس كل واحد فى المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداءها. وأنه إن تقاصر فى أدائها. فقد يؤدى ذلك إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره. وأن للفرد حقوقا فى هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذى حق حقه من غير تقصير ولا إهمال. وأن يدفع الضرر عن الضعفاء. ويسد خلل العاجزين. وأنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء. ولابد أن يخرج منهاراً بعد حين» وقد بين الإسلام أموراً

(١) المصدر السابق: ٤.

متعددة تؤدى إلى تحقيق هذا المبدأ الجليل. وسنشير إلى بعض هذه الأمور فيما يأتى:

١ - من هذه الأمور أن يتكافل المسلمون فى تحقيق المجتمع الفاضل الذى لا يظهر الشر فيه وقد أوجب الإسلام فى هذه الناحية على المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر قال الله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وأما الأحاديث فكثيرة منها ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

وروى حذيفة عن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله تعالى أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفائى يثاب فاعله. وقد يصير فرض عين على المسلم إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو. ولا يتمكن من إزالة المنكر إلا هو. ففى هذه الحالة يلزمه أن يقوم بأداء هذا الواجب فإذا لم يقم به تحمل وحده إثم عدم القيام به كما قال الإمام النووى فى حلية الأبرار وشعار الأخيار.

٢ - مساعدة الضعاف والمحتاجين. ولذا شرعت الزكاة كحق للفقراء، والمساكين وتخليص الرقيق من رقهم، وإعانة للمسلم الذى استدان فى سبيل

المصلحة العامة إلى جانب أغراض أخرى مبينة فى قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٦٠].

٣ - الحقوق التى منحها الله تعالى للفرد فى الإسلام مقيدة بعدم الإضرار بالغير. لأن الأحكام الشرعية التى شرعها الله تعالى لتحقيق مصالح الناس ولدفع الضرر عنهم. ولذلك إذا ظهر فى أمر من الأمور مصلحة ولاح منه مضرة فالواجب أن يوازن بينهما فإن غلب جانب المصلحة فهو من الأمور الجائزة. وإن غلب جانب المضرة فهو من الأمور التى يحرمها الله عز وجل. يقول العز بن عبد السلام: وتقديم المصالح الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن اتفق الحكماء على ذلك وكذلك الشرائع وكذلك الأطباء يدفعون أعظم المرضين بإبقاء أدناهما ويجلبون أعلى السلامتين والصحتين. ولا يبالون بفوات أدناهما فإن طب الشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام. أهـ. وإذن يقوم التكافل الاجتماعى فى الإسلام على شعبتين كما قال المرحوم الشيخ محمود شلتوت(١) رحمه الله شعبة مادية: وسبيلها مديد المعونة فى حاجة المحتاج وإغاثة الملهوف وتفريج كربة المكروب وتأمين الخائف وإشباع الجائع والمساهمة العملية فى إقامة المصالح العامة. وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى وحث عليه واستنهض الهمم فيه وأطلق عليه جملة من العناوين المحببة فيه. الداعية إليه.

ثم قال: وشعبة أدبية. ونعنى بها تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوى بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه.

وقد أعطاه القرآن اسماً كريماً يحببه إلى النفوس، ويغرى به العقول والقلوب. فسماه «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٣٦، ٤٣٧.

ثم قال: «والإسلام يجعل هذا التكافل الأدبى فريضة لازمة على كل مسلم. بل جاء على لسان الرسول أنه الدين كله بالنسبة إلى جميع الطبقات» أ. هـ.

فالتكافل الاجتماعى فى الإسلام أوله وأساسه وغايته. التكافل على إيجاد مجتمع مسلم فاضل لا يظهر فيه إلا الخير وتتحقق فيه العدالة وتكون سمته مجتمع الحب والتعاون والتعاطف والتآزر والسكينة وتضافر الجهود لخلق مجتمع العدل والرفاهية.

ثامناً: حسن الجوار:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بإحسان معاملة الجار. سواء كان قريباً أم كان بعيداً. مسلماً كان أم كان غير مسلم. صالحاً كان أم كان غير صالح. غنياً أم فقيراً قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ [النساء: ٣٦].

ولقد شدد الإسلام على هذا الجانب كثيراً حتى ظن النبى ﷺ أنه سينزل قرآن يجعل للجار حقاً فى ميراث جاره.

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» رواه الأربعة.

وعنها قالت: قلت: يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى؟

قال: إلى أقربهما منك بابا» رواه البخارى وأبو داود ولفظه «إن لى جارين فأيهما أبدأ قال: بأدناهما بابا».

وعن أبى شريح رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال «الذى لا يأمن جاره بوائقه» رواه البخارى ومسلم ولفظه «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[١].

---

(١) التاج الجامع للأصول ٥/ ١٥.

وحقوق الجيران تتفاوت تبعاً لتفاوت الجيران من حيث درجات الصلة والقرابة والملة فقد روى الطبرانى من حديث جابر «الجيران ثلاثة : جار له حق . وهو : المشرك له حق الجوار وجار له حقان . وهو المسلم . له حق الجوار وحق الإسلام . وجار له ثلاثة حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الجوار والإسلام والرحم»[1] .

وهكذا يهتم الإسلام بالجار ولو كان غير مسلم . وهذا تشريع قوى ورفيع المستوى لن تجده فى أى قانون آخر سوى شريعة الإسلام .

ولكن ما أنواع هذه الحقوق التى أمر بها الإسلام؟

نستطيع أن نقول : إن حقوق الجار على جاره أمور كثيرة نجملها فيما يأتى :

١ – أن يمد له يد المعونة إن احتاج إلى ذلك .

٢ – أن يشاركه أفراحه ويواسيه فى أحزانه .

٣ – أن يعوده إذا مرض ويشيعه إذا مات .

٤ – أن يرفع عنه الأذى وأن يتحمل منه الأذى .

٥ – أن يحافظ على مشاعره ويرعى أحاسيسه وأن يقدم له النصح إذا ما احتاج إلى ذلك .

٦ – أن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «حق المسلم على المسلم ست . قيل : ما هن يا رسول الله؟ قال : «إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه . وإذا استنصحك فأنصح له . وإذا عطس فحمد الله فشمته . وإذا مرض فعده . وإذا مات فاتبعه» رواه الخمسة .

وللترمذى : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف يسلم عليه إذا لقيه

---

(١) غاية المأمول شرح التاج ٥ / ١٥ .

ويجيبه إذا دعاه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض . ويتبع جنازته إذا مات ويحب له ما يحب لنفسه »(١).

وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال : « أتدرون ما حق الجار . إن استعان بك أعنته . وإن استنصرك نصرته . وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه . وإن مرض عدته . وإن مات تبعت جنازته . وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة . عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه وإذا اشتريت فاكهة فاهد له . فإن لم تفعل فادخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها . ثم قال : أتدرون ما حق الجار؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله »(٢).

وروى الغزالى فى الإحياء : « قال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك » فإلى هذا المدى يرتفع الإسلام بأتباعه إلى أسمى درجات حسن الخلق هذا . ويجب أن نعلم أن حسن الجوار فى شريعة الإسلام ليس مقصوراً على الأفراد فقط ولكنه أيضاً مما يجب على الجماعات والدول الإسلامية بعضها مع بعض، فإن كل ما ثبت من حقوق للأفراد يجب أيضاً أن يراعى بالنسبة للدول الإسلامية المتجاورة فإن لكل دولة على جاراتها حقوقاً . ولهم عليها حقوق كل من التزم بها فقد أحسن إلى جاره فانظر مدى ما جعل الإسلام لعلاقة الجوار من واجبات وحقوق تر أنه لا يمكن لأى نظام آخر غير الشريعة الإسلامية أن يسمو إلى هذا المستوى الجليل ولا عجب . إنه تنزيل من حكيم حميد .

* * *

(١) التاج الجامع للاصول ٥ / ١٦ .

(٢) ذكره الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين (حقوق الجار) جـ ٢ ص ١١٣ قال العراقى فى تخريجه : رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف وأقول إنه يقويه ما ورد من أحاديث صحاح ومنها ما ذكرناه .

حماية المجتمع
(التشريع الجنائى فى الإسلام)

تمهيــد :

يسمى التشريع الجنائى الإسلامى فى القرآن والسنة وفى كتب الفقه «الحدود والتعزيرات» وكلما نقب الإنسان فى آفاق الفقه وكتب الفقهاء المسلمين. ازداد إيماناً بخلود شريعة الإسلام فى تنظيم الحياة، وسلامة الفكر الإسلامى. وعبقرية الفقهاء. وعظمة الفقه. الذى لا تقتصر أحكامه على الدليل النقلى من القرآن والسنة فحسب. وإنما تتغلغل فى أعماق الوجدان والعقل الإنسانى لتجد لها ما يؤيدها ويدعمها حتى اليوم. ويساندها من أجل التطبيق العملي . ويشد أزرها للنهوض من جديد فى حكم العلاقات الاجتماعية والمعاملات المتكررة يوميا بين الأفراد. وفى العلاقات الدولية أيضاً والهدف من الأخذ بأحكام الإسلام هو إقامة مجتمع إسلامى عزيز كريم نظيف آمن مطمئن لا محل فيه لإعطاء الدنية أو الاستسلام للعدو. ولاقرار فيه للجريمة والفوضى.

ولا اعتبار للشذوذ والانحراف. والفساد أو المنكر والمعصية. وذلك بقدر الإمكان وضمن مبادىء الإسلام التى من أهمها مبدأ الستر على المعصية الخفية غير المعلنة ومبدأ درء الحدود – لا التعزيرات – بالشبهات.

ومما يشدنا إلى إسلامنا بحق أن الناس جربوا فى عصرنا المستورد من القوانين والأنظمة والأفكار والثقافات والمعارف المتعددة. المصطبغة كلها بصبغة مادية ضيقة أو بحتة وآب الواعون فى النهاية إلى حظيرة الإسلام ليجدوا فيه الحل الأفضل بعد أن أفلست البضاعة المستوردة فى تقدم الفرد والجماعة. وانكشف طلاؤها المزيف بزيف الحضارة. التى أخذنا منها الساقط الحقير. وتركنا الجوهر أو النافع المفيد، فنقم الناس على تلك الأنظمة والثقافات. لما أدت إليه من إفساد

الضمائر والأفكار. وزرع الشك وعدم الثقة بالنفس. واهتزاز القيم والفضائل والأخلاق. ولم تفلح فى النهاية إلا فى إبقائنا ضعفاء عالة على الغير مجهولى الهوية. ليست لنا ذاتية مستقلة إسلاما أو عروبة. شرقاً أو غرباً.

وبدافع قوى من الشعور أو اللاشعور اتجه المجتمع إلى الإسلام - طريق الخلاص - ولكنهم ظلوا فى فلك العبادات وحدها يعملون - فأصبحت نظم الحياة فى جانب. والعبادة فى جانب. فصاروا فى إزدواجية وترنح وتناقض. وحيرة وملل واضطراب جديد أقل سوءا من البعد النهائى عن الإسلام.

ولا نجاة من تلك الازدواجية إلا بتطبيق كامل لشرعة الله فى المعاملات والجنايات والحدود وغيرها. وتغيير القوانين الوضعية»[1].

إن الفقه الإسلامى بكل مذاهبه فيه الصلاحية الكاملة لتطبيق أحكام الإسلام ومبادئه فى كل زمان ومكان. رغم أنف المعاندين والحاقدين والجاهلين ممن يطالبون بتنحية الفقه الإسلامى باسم المعاصرة والحداثة والتمدن. لأن الفقه الإسلامى - حسب زعمهم - أصبح لا يفى بحاجات الناس. ولا يساير مطالب العصر وحاجاته.

وتلك دعوات خبيثة. المقصود منها: التحلل والتخلص من أحكام القرآن والسنة والبعد عن تطبيق المنهج الإلهى. وبعضهم يقولها جهلاً والآخرون حقد وكراهية لأمور تحكم تصرفات الناس. تقف أمام تحقيق رغباتهم. وثالث يبغى حب الظهور ولو كان ذلك على حساب دينه وثقافة أمته لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة نسأل الله لنا ولهم الهداية والرشاد.

العقوبات فى الشريعة الإسلامية:

إن الجناية هى: الجريمة فى اصطلاح الفقهاء قال الماوردى:

(الجرائم محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير).

---

(١) الدكتور: وهبه الزحيلى فى كتابه الفقه الإسلامى وأدلته: ٦/ ٩، ١٠.

فالعقوبات فى الفقه الإسلامى تنقسم إلى قسمين هما :

١ - الحدود   ٢ - التعزيرات

أولاً : الحدود :

الحد لغة : هو المنع . أى منع أسباب ارتكاب الجريمة . لأنه شرع لزجر الناس كما أنه توبة للمذنب . سئل الإمام على رضى الله عنه : هل الحدود زواجر أو جوابر؟ فقال : (الحدود جوابر - توبة - لأن الله تعالى أكرم من يثنى العقوبة على عبده) وحدود الله محارمه وأحكامه قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا** ﴾ والحد شرعاً : عرفه الحنفية بأنه : عقوبة مقدرة واجبة حقا لله تعالى وعرفه غير الحنفية - الجمهور - : بأنه عقوبة مقدرة شرعاً . سواء كانت حقا لله تعالى أم للعبد .

والحدود خمسة عند الحنفية وهى : حد السرقة . وحد الزنا وحد الشرب . وحد السكر . وحد القذف وعند المالكية كما ذكر ابن جزى : الجنايات أى الجرائم الموجبة للعقوبة ثلاث عشرة . وهى القتل والجرح . والزنا . والقذف . وشرب الخمر . والسرقة . والبغى . والحرابة ، والردة والزندقة وسب الله . وسب الأنبياء والملائكة . وعمل السحر . وترك الصلاة والصيام .

وعند الشافعية ثمانية : حد الردة . وحد تارك الصلاة . وحد الزنا . وحد القذف . وحد شرب الخمر وحد السرقة . وحد قاطع الطريق . والقصاص فى القتل العمد والدية فى القتل الخطأ وشبه العمد وعند الحنابلة : حد الردة وحد السرقة . وحد الزنا وحد القذف وحد السكر وحد الشرب وحد قطع الطريق . والقصاص فى القتلى .

روى البخارى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا

تعصوا فى معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له. ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فأمره إلى الله. إن شاء عفا عنه. وإن شاء عاقبه». وقد شرعت الحدود صونا لما يلى:

الدين، والنفس، والعرض، والنسب، والمال.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المجتمع المسلم أفراداً و جماعات. مسلمين وذميين كانوا يعيشون فى أمن وأمان فى عصور تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. كما أن الأفراد الذين كانوا يقعون فى الذنب والمعصية كانوا يذهبون راغبين إلى رسول الله ﷺ وإلى كل من خلفوه فى حكم المسلمين مقرين على أنفسهم بارتكاب الجريمة ويطلب إقامة الحد عليه.

وكتب الحديث والسيرة والفقه مليئة بالكثير من هذه الأمثلة.

فلنشرع الآن فى بيان الحدود فى الفقه الإسلامى. ثم نتبع ذلك بالكلام عن التعزير. والله ولى التوفيق.

* * *

أحكام المرتدين

تعريف الردة :

الردة لغة : هى الرجوع عن الشىء إلى غيره، وشرعاً . هى : الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر . سواء كان ذلك بالنية أو بالقول أو بالفعل . وسواء كان ذلك اعتقاداً أو عناداً أو استهزاء، إن الردة هى أقبح أنواع الكفر وأغلظه حكما . لأن المرتد قد كفر بعد أن ذاق حلاوة الإيمان .

والمرتد يحبط الله عمله بمجرد ردته فى مذهب الأحناف، ويرى الشافعية أنها محبطة للعمل إن اتصلت بالموت .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ .

أسباب الردة :

وهى كثيرة منها : من أنكر وجود الصانع الخالق عز وجل . أو أثبت له ما نفاه عن نفسه أو نفاه عن النبى ﷺ . والعكس، أو نفى رسالة الرسل ونبوة الأنبياء . أو كذب بالقرآن أو كذب بما صح نقله عن النبى ﷺ . أو رمى بكتب العلم الإسلامى والفتاوى استهزاء بها أو أنكر أمرا معلوماً من الدين بالضرورة كمن أحل حراما كالزنا والسرقة وشرب الخمر أو حرم حلالا كالبيع والنكاح والميراث . أو نفى وجوب مجمع عليه كمن نفى ركعة أو صلاة مفروضة أو اعتقد وجوب ما ليس يواجب بالكتاب والسنة والإجماع كزيادة ركعة فى الصلوات المفروضة . أووجوب صوم ما ليس بواجب . أو عزم على الكفر غدا – جادا أو مستهزئا – أو تردد فيه . أو سجد لصنم أو الشمس أو القمر أو اعتقد أن غير دين الإسلام أفضل منه . أو اعتقد صحته . أو سب دين الإسلام أو نبى الإسلام أو كتاب الإسلام . أو اعتقد كفر مسلم يحب الله ورسوله . ويلحق بالردة : الزندقة

وهى: أن يظهر الإسلام ويستر الكفر. فهذا إذا عثر عليه. قتل ولايستتاب. ولا يقبل قوله فى ادعاء التوبة. إلا إذا جاء تائباً قبل ظهور زندقته ويلحق بها أيضاً. السحر. فيقتل الساحر إذا عثر عليه كالكافر. واختلف فى قبول توبته أم لا وأما من سب الله تعالى أو الرسول ﷺ أو أحدا من الملائكة أو الأنبياء أو دين الإسلام. فإن كان مسلماً قتل اتفاقا. واختلف فى توبته. هل يستتاب أم لا والمشهور عند المالكية أنه لا يستتاب وإن كان كافرا.

شروط صحة الردة: اتفق العلماء على اشتراط شرطين لصحة الردة هما:

أولاً: العقل. فلا تصح ردة المجنون والصبى الذى لا يعقل. لأن العقل هو مناط التكليف كما أنه من شرائط الأهلية فى كافة التكليفات الشرعية. فمن لا عقل له: لا دين له (أى أنه لا يطالب بأعمال الإسلام من أوامر ونواهى) وأما السكران الذى ذهب عقله رغماً عنه أو باختياره فلا تصح ردته عند الحنفية استحسانا. لأن السكران لا يصح عقده ولا قصده. فأشبه المعتوه. ولأنه زائل العقل فلم تصح ردته كالنائم. ولأنه غير مكلف. فلم تصح ردته كالمجنون. كما ذكر الكاسانى فى بدائع الصنائع.

وقال الشافعية والحنابلة فى أظهر الروايتين عن الإمام أحمد. أن السكران المتعدى بسكره. تصح ردته وإسلامه كما يصح كافة تصرفاته الشرعية. وقد أقام الصحابة حد الفرية على السكران المتعدى بسكره.

ولا يقام حد الردة على السكران المتعدى بسكره حتى يستتاب بعد صحوه ثلاثة أيام.

ثانياً: الاختيار. فلا تصح ردة المكره اتفاقا لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾.

وقول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر رضى الله عنه: «إن عادوا فعد» فاشتراط

العقل والاختيار لصحة الردة أمر متفق عليه. ولكن وقع النزاع حول اشتراط البلوغ فى صحة الردة.

يرى الشافعية أن الصبى الذى يبلغ حد التكليف. لا يصح إسلامه ولاردته ووافقهم أبو يوسف من علماء الحنفية. ويروى أن أبا حنيفة قد رجع إلى رأى أبى يوسف وقال الجمهور غير الشافعية وأبى يوسف. يصح إسلام الصبى المميز وردته ونقول كما قال بعض العلماء: يصح إسلام الصبى المميز كما قبل إسلام على وغيره وهم صبيان كما يقول الجمهور. ولكن لا تصح ردة المميز إذ لا تكليف قبل البلوغ كما يقول الشافعى وأبو يوسف.

هذا ولا يشترط الذكورة فى صحة الردة. لأن الردة تصح من المرأة.

أحكام المرتد:

١ - **حد الردة**: لقد اتفق العلماء على قتل المرتد للأحاديث الوردة فى هذا الشأن.

روى الجماعة إلا مسلما. عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» [ورواه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق فى مصنفيهما].

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى. والنفس بالنفس. والتارك لدينه المفارق للجماعة» [ورواه النووى فى الأربعين والصنعانى فى سبل السلام].

لذا أجمع العلماء على وجوب قتل المرتد رجلا كان أو امرأة عند الجمهور غير الحنفية.

يدل على ذلك ما رواه الدارقطنى والبيهقى عن جابر بن عبدالله وعائشة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن امرأة يقال لها: أم مروان ارتدت عن

الإسلام: «فأمر أن تستتاب. فإن تابت. وإلا قتلت» [إسناده في روايتيه ضعيف].

وروى الطبراني في معجمه بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن. قال له: «أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه. فإن عاد. وإلا فاضرب عنقه. وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام. فادعها، فإن عادت، وإلا فاضرب عنقها».

قال الحافظ ابن حجر: (وإسناده حسن. وهو نص في موضوع النزاع. فيجب المصير إليه) ويرى الحنفية. أن المرأة المرتدة. لا تقتل. وإنما تحبس وتجبر على الإسلام. فإن أن تسلم أو تموت. وتضرب كل ثلاثة أيام لحملها على الإسلام. ولو قتلها قاتل: لا يجب عليه شيء للشبهة ودليلهم هو قول الرسول ﷺ للجند «لا تقتلوا امرأة».

٢ - **استتابة المرتد**: يجب استتابة المرتد عند الجمهور قبل قتله ثلاث مرات ويستحب استتابته عند الحنفية ثلاثة أيام أملا في توبته، فإن لم يتب المرتد رجلا كان أو امرأة بعد انتهاء فترة الاستتابة. قتل.

روى مالك والشافعي والبيهقي: أنه قدم على عمر رضي الله عنه من جيش المسلمين. فقال: هل عندكم من مغربة خبر؟ قال: نعم. رجل كفر بالله تعالى بعد إسلامه. فقتلناه.

فقال عمر: هلا حبستموه في بيت ثلاثة أيام. وأطعمتموه في كل يوم رغيفا لعله يتوب؟

ثم قال: (اللهم إني لم أحضر. ولم آمر. ولم أرض).

ولا يقتل المرتد إلا الإمام أو نائبه. فإن قتله أحد بلا إذنهما فقد أساء ويجب تعزيره لتعديه على سلطة الإمام أو نائبه.

وتكون توبة المرتد بأن يتبرأ من كل الأديان - سماوية ووضعية - سوى الإسلام، ولو تبرأ عما انتقل إليه. كفاه لحصول المقصود به.

٣ - مـال المرتد: لا خـلاف بين أهل العلم في أن المرتد إذا أسلم تكون أمواله على حكم ملكه السابق ولا خلاف بينهم أيضاً فى أنه إذا مات أو قتل أو لحق بدار الحرب. تزول أمواله وملكيته ولكنهم اختلفوا: هل يكون زوال ملكه عن أمواله بالموت أو القتل أو اللحاق بدار الحرب من وقت الردة - بأثر رجعى - أم عند حدوث هذه الأسباب؟

قال بالأول الشافعى وقال بالثانى الإمام أبو حنيفة رضى الله عنهما.

٤ - حكم ميراث المرتد: قال المالكية والشافعية والحنابلة. يكون ماله فيئا لجماعة المسلمين يجعل فى بيت المال. وقال الحنفية يورث ما اكتسبه فى الإسلام لورثته. وما اكتسبه حال كفره يكون فيئا يرد على بيت مال المسلمين. وقال صاحبا أبى حنيفة: كل مال المرتد يملكه ورثته سواء كان الكسب قبل ردته أو بعد ردته. والله أعلم.

* * *

حكم تارك الصلاة

الصلاة ركن من أركان الإسلام . وهى أهم العبادات وأخطرها . عرفت فرضيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾ [النساء : ١٠٣] أى فرضا مؤقتا .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من أستطاع إليه سبيلاً » وعليه إجماع الأمة .

وقد حث الإسلام عليها ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ وحذر من تركها والنصوص فى هذا كثيرة .

وقد أجمع العلماء على أن تاركها جاحدا لمشروعيتها يستتاب ، فإن تاب وإلاحكم بردته . ويطبق عليه حكم المرتد كما سبق .

وأما من تركها كسلاً وتهاوناً فالجمهور على أنه مؤمن عاصى يستتاب ثلاث مرات فإن تاب وإلا قتل حدا عند الشافعية ومن وافقهم ويرى الحنفية حبسه حتى يصلى أو يموت . وخالف جمهور الحنابلة ومن شايعهم فى أن تارك الصلاة مطلقا كافر يعامل معاملة المرتدين .

وقد جرت محاورة بين الشافعى وأحمد فى هذا الشأن كما رواها السبكى فى طبقاته قال الشافعى : يا أحمد أتقول إن تارك الصلاة مطلقا كافر ؟

قال : نعم قال : فبماذا يسلم . قال : يقيم الشهادة قال الشافعى : الرجل دائم القول لها إلا أنه لا يصلى . قال : يسلم بأن يصلى فقال الشافعى : وهل تقبل الصلاة من كافر يا أحمد .

وهنا سكت الإمام أحمد ولعله رجع عن رأيه . ولذلك يروى له فى هذه المسألة رأيان . رأى يقول بقول الجمهور ورأى يقول بكفر تارك الصلاة مطلقا ،

هذا ويستدل من قال بقتل تارك الصلاة بما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل » ورواه أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وحجة من قال بكفر تارك الصلاة . ما رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

فلا خلاف بين المسلمين على كفر من ترك الصلاة منكرا لوجوبها إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو لم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة . وإن كان تركه لها كسلا مع اعتقاده لوجوبها . كما هو حال كثير من الناس . فقد اختلف الناس فى ذلك :

فذهبت العترة والجماهير من السلف والخلف منهم مالك والشافعى إلى أنه لا يكفر بل يفسق . فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزانى المحصن . ولكنه يقتل بالسيف . وذهبت جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل . وبه قال عبد الله ابن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى . وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى إلا أنه لا يكفر ولا يقتل . بل يعزر ويحبس حتى يصلى[١] . أ . هـ .

ولكل فريق من هؤلاء الثلاثة أدلته وحجته، مذكورة فى كتب الفقه وشروح السنة[٢] وهو أمريجب الاهتمام به لخطورة الصلاة وعلو شأنها ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾ . ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ .

---

(١) نيل الأوطار ١ / ٢٨١ .

(٢) راجع : الفقه على المذاهب الأربعة . نيل الاوطار للشوكانى . السنن والآثار للبيهقى فقه السنة سيد سابق، شرح النووى لصحيح مسلم . وفتح البارى لابن حجر وغيرها كثير .

حكم الزنى

الزنا: هو الوطء الحرام فى قبل المرأة الحية المشتهاة فى حالة الاختيار فى دار العدل ممن التزم أحكام الإسلام. الخالى عن حقيقة الملك. وحقيقة النكاح. وعن شبهة الملك. وعن شبهة النكاح. وعن شبهة الاشتباه فى موضع الاشتباه فى الملك والنكاح جميعاً(١).

فالزنا هو الوطء الذى تحققت فيه كل شروط الحرمة وهى:

١ – أن يكون فى قبل المرأة. فليس منه من وطىء امرأة فى دبرها – اللواط – أو رجلا فى دبره أو وطىء بهيمة.

٢ – أن تكون المرأة حية لا ميتة فوطء الميتة لا يسمى زنا.

٣ – أن تكون مشتهاة. لا يحد واطىء الصغيرة التى لم تبلغ حدا يشتهى.

٤ – أن يكون مختارا رجلا كان أو امرأة. فلا يحد المكره على الزنا.

٥ – أن يكون فى دار العدل أى فى دار الإسلام إذ لا ولاية للإمام على دار الحرب.

٦ – أن يلتزم أحكام الإسلام كالمسلم أو الذمى. وليس الحربى لأنه غير ملتزم بأحكام الإسلام.

٧ – الخالى عن حقيقة الملك. لأن الأمة يطؤها بملك اليمين أو بشبهة الملك.

٨ – الخالى عن حقيقة النكاح. أى ليست زوجة له.

أما الوطء بشبهة عقد الزواج كمن تزوجها بغير شهود أو بغير ولى فهذا لا يحد فيه خلافاً لجمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة وصاحبى أبى حنيفة فإنهم يرون إقامة الحد لبطلان العقد.

---

(١) تحفة الفقهاء: ٣/ ١٣٨ وبدائع الصنائع: ٧/ ٣٣.

فإذا تحقق الزنا بتحقق شروطه على النحو المبين بكتب الفقه فى المذاهب الأربعة.

وجب الحد على الزانى رجلاً كان أو امرأة.

ثبوت الزنا: يثبت الزنا بأحد أمرين هما:

الأول: اعتراف الزانى. بأن يقر على نفسه بالزنا. وليس له أن يقر على الطرف الثانى فيقر على نفسه أربع مرات كما وقع من ماعز والغامدية.

ويشترط أن يكون المقر بالغاً. عاقلاً. ناطقاً باللفظ أو بالإشارة. مختاراً. عالماً بالتحريم والثانى: البينة وهى شهادة أربعة شهود بالزنا على الرجل والمرأة أو على أحدهما ويشترط فى الشهادة على الزنا أمران:

١ - اتحاد المشهود به. وهو أن يجمع الشهود الأربعة على فعل واحد فى المكان والزمان. وإن اختلفوا لا تقبل شهادتهم.

٢ - اتحاد مجلس الشهادة أى أن يكون الشهود مجتمعين فى مجلس واحد. ولا يشترط ذلك الشافعية.

حد الزنا:

الزانى إما محصن أو غير محصن. فغير المحصن. وهو ما لم يسبق له الزواج رجلاً كان أو امرأة فعقوبته الجلد مائة. وتغريب سنة عند غير الأحناف.

وقد ثبت الجلد بالقرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٢].

والمحصن - أى المتزوج - عقوبته: الرجم. وقد ثبت هذا الحد بسنة رسول الله ﷺ، فقد روى البخارى عن جابر رضى الله عنه: أن رجلا من أسلم جاء إلى النبى ﷺ فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبى ﷺ حتى شهد على نفسه أربع

مرات. فقال له النبي ﷺ: أبك جنون؟قال: لا. قال: أحصنت؟ قال: نعم، فأمر به فرجم بالمصلى. فلما أذلقته الحجارة. فر. فأدرك. فرجم حتى مات فقال له النبي ﷺ خيراً. وصلى عليه».

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وقد أجمع على ذلك جمهور العلماء ماعدا الخوارج فإنهم يرفضون الرجم على الإطلاق(١).

حد اللواط:

قال مالك والشافعي وأحمد: إن اللواط يوجب الحد. لأن الله سبحانه وتعالى غلظ عقوبة فاعله في القرآن الكريم.

فالمالكية والحنابلة في رواية عن أحمد يرون أن حد اللواط: هو الرجم للثيب وللبكر للحديث (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط. فاقتلوا الفاعل والمفعول له) وفي رواية: «فارجموا الأعلى والأسفل».

وحد اللائط عند الشافعية هو: حد الزاني محصناً وغير محصن.

وقال أبو حنيفة: يعزر اللوطي فقط. إذ ليس في اللواط اختلاط الأنساب ولايترتب عليه غالبا حدوث منازعات تؤدي إلى قتل اللائط وليس هو زنا(٢).

أما واطىء البهيمة فإنه يعزره الحاكم بما يردعه. لأن الطبع السليم يأبى ذلك، وأما وطء الميتة. فقد قال المالكية من أتى ميتة في قبلها أو دبرها. يحد للزنا. لأنه وطء في فرج آدمية فأشبه وط الحية. ولأنه أعظم ذنباً وأكثر إثما لأنه

---

(١) دين الإسلام: ٥١٣.
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته: ٦/٦٦.

انضم إلى الفاحشة هتك حرمة. وقال الجمهور: فى الأرجح لا يحد واطىء الميتة. لأن هذا ينفر الطبع عنه[1]. فيؤدب فاعله ويزجر بما يناسب الذنب والله أعلم.

حد القذف:

القذف هو: رمى إنسان إنسانا آخر بالزنا وما فى حكمه أو ينفى نسب إنسان لأبيه وهو من الكبائر التى حرمها الله تعالى ورسوله ﷺ.

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله. ما هن؟ قال: الشرك بالله عز وجل. والسحر. وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق. وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ويجب الحد بسبب القذف بالزنا، لأن القذف يتضمن إلحاق العار وسوء السمعة بالمقذوف. فيجب الحد دفعا للعار عنه. وصيانة لسمعته.

والعقوبة فى القذف تختلف باختلاف المقذوف. لأن المقذوف إما أن يكون امرأة أجنبية عنه أو رجلاً. أو تكون المرأة زوجاً له.

فإذا لم تكن المقذوفة زوجا له أو كان المقذوف رجلاً. فعلى القاذف أن يقيم البينة أو يقام عليه الحد. بنص القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور: ٤، ٥].

فمقدار الحد هنا: الجلد ثمانين جلدة. ويحكم على القاذف بالفسق وعدم العدالة فلا تجوز له شهادة إلا إذا تاب خلافاً للأحناف.

ولا يتعدد الحد لتعدد القذف إذا اجتمعت الحدود فى جنس. فيقام الحد

---

(١) المصدر السابق: ٦/ ٦٧، ٦٨.

مرة واحدة . ويعزر فى الباقيات . وقذف الجماعة بالزنا كقذف الواحد خلافا للشافعي وزفر من الحنفية .

فقالا : إذا قذف شخص جماعة . فيجب لكل واحد منهم حد . سواء أكان القذف لكل واحد على انفراد أم بكلمة واحدة . لأنه ألحق العار بقذف كل واحد منهم . فلزمه لكل واحد منهم حد كما لو أفرد كل واحد منهم بالقذف .

والقذف باللواط موجب للحد عند الجمهور خلافاً للحنفية فإنهم يرون فيه تعزيراً فقط ولا يقام الحد على القاذف إلا إذا كان القاذف : بالغاً . عاقلاً . ولم يستطع أن يقيم البينة – وأن يكون مختارا غير مكره .

وأن يكون المقذوف محصنا . رجلاً كان أو امرأة . بأن يكون بالغاً عاقلاً . حراً . مسلماً عفيفاً عن الزنا .

وأن يكون المقذوف محددا معلوماً فإن كان مجهولاً غير معين . لا يجب الحد وأن لا يكون القاذف أباً ولا أماً ولا جداً ولا جدة للمقذوف وأن يكون القذف لصريح الزنا أو ما يجرى مجرى الصريح وأن لا يكون مقيداً بشرط أو صفة إلى غير ذلك مما هو مدون بكتب الفقه فى المذاهب الأربعة .

أما إذا رمى الرجل زوجته بالزنا فالأمر أخطر وأصعب .

قال الشيرازى فى المهذب من الشافعية : إن ادعت المرأة على زوجها أنه قذفها . وأنكر فشهد شاهدان أنه قذفها . جاز أن يلاعن . لأن إنكاره للقذف لا يكذب ما يلاعن عليه من الزنا . لأنه يقول : إنما أنكرت القذف . وهو الرمى بالكذب . وما كذبت عليها لأنى صادق أنها زنت . فجاز أن يلاعن .

واللعان ثابت بالقرآن الكريم . قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّه إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّه عَلَيْه إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن**

كان **مِنَ الصَّادِقِين** ﴾ [النور : ٦ - ٩] فيجرى القاضى بينهما الملاعنة . وبعد تمام قيام اللعان بينهما . يتم التفريق بينهما للأبد فلا تحل له بعد ذلك كزوجة . ويتم نفى الولد - إن ولدت - ويلحق نسبه بأمه .

ولما كان الرمى بالزنا أمراً خطيراً وآثاره سيئة كان الوعيد عليه شديداً . قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : ٢٣] .

والله عز وجل يقول الحق وهو يهدى إلى الصراط المستقيم .

* * *

القصاص فى القتلى

القتل: هو أعظم الجرائم التى ترتكب ضد المجتمع. قال الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾

[الإسراء: ٣٣]

وقد حدد الله تعالى فى القرآن الكريم عقوبة القتل. فقال عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨ - ١٧٩]

وقد كان العرب قبل الإسلام يقتلون بالواحد من الأشراف العدد الكثير. ولما كان هذا ظلما بيِّنًا. بين الله عز وجل لهم أن إقامة العدل مطلوب فلا يقتل برىء بفعل آخر. وإنما يقتل القاتل. وهناك تخفيف فى العقوبة فقد سمح القرآن لأهل القتيل أن يعفوا ويصفحوا ويقبلوا «الدية» بدلاً من قتل القاتل.

ويذكر القرآن الكريم فى مناسبة أخرى قبول الدية بدلا من القتل فى حالات القتل غير المقصود أى فى حالات القتل. شبه العمد أو القتل الخطأ فيقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ

رقبة مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء : ٩٢]

فقتل المسلم عمداً . فيه القصاص إلا أن يعفوا أولياء الدم . والقتل شبه العمد أو الخطأ فيه الدية وعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين .

وأما غير المسلم فإن كان محارباً فى أثناء الحرب مع المسلمين فلادية له ولا قصاص . وأما من كان يعيش فى ظل الدولة المسلمة (أهل الذمة) أو يعيش فى دولة غير مسلمة صديقة يعاقب عليه كقتل المسلم تماماً .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة . وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

يقول مولانا محمد على[١] . وهذا الحديث يتحدث عن نظرة دينية خالصة حيث لا توجد أدنى تفرقة بين قتل المسلم وغير المسلم، وبالتالى فلا يوجد أى تفرقة فى عقابهم الدنيوى . وعندما يتحدث القرآن عن القتل فهو دائماً يتحدث عن قاتل النفس وليس قاتل المسلم . ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ .

ثم قال : صحيح إن عليا قال : إنه لا يقتل مسلم بكافر .

سألت عليا رضى الله عنه . هل عندكم شىء مما ليس فى القرآن ؟

وقال ابن عيينة مرة : وما ليس عند الناس . فقال : والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما فى القرآن . إلا فهما يعطى رجل فى كتابه . وما فى الصحيفة .

قلت : وما فى الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير . وأن لا يقتل مسلم

---

(١) دين الإسلام : ٥٠٨ .

بكافر » رواه البخارى، وواضح أن المقصود من هذا هو حالة الحرب وليس حالة السلم. فحالة السلم تحدث عنها الحديث الذى ذكرناه سابقاً.

إن حقوق غير المسلمين فى الدولة الإسلامية مصونة تماماً. والمسلمون وغير المسلمين سواء. بل إن المسلمين مطالبون بالقتال دفاعاً عن غير المسلمين فقد قال الرسول ﷺ: «وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم. وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم» [رواه البخارى] أ.هـ.

ونص القرآن الكريم على العذاب الأخروى للقاتل عمداً فى قوله تعالى:
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

وهذه الآية محمولة على من لم يتب. أو على أن هذا جزاؤه إن جازاه الله تعالى. وله العفو إذا شاء. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

روى النسائى والضياء فى المختارة عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا».

وقد بينت السنة النبوية الشريفة حالات القتل المأذون به شرعاً – أى المباح للحاكم – وليس للأفراد. فقد روى الجماعة عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات... وذكر منها: «قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق»[1] وفى الموضوع تفصيلات ومسائل ليس هذا موضعها. وإنما تطلب من كتب الفقه العظيمة لفقهاء الأمة العظام جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء.

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والنسائى.

حد السرقة

الأصل فى مشروعية حد السرقة. قول الله تعالى: ﴿ **والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّه واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩].

وما رواه البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنما هلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه. وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه» فى رواية «أقاموا عليه الحد». فإذا ثبتت السرقة. وجب فيها القطع من حيث هى جناية. والغرم إذا لم يجب القطع ولا خلاف بين الفقهاء فى أنه إذا قطع السارق والعين قائمة. ردت على صاحبها لبقائها على ملكه.

فأما إن كانت العين تالفة. فقد اختلفوا فى ضمانها:

١- **قال المالكية**: إذا كان السارق موسرا عند القطع. وجب عليه القطع والغرم تغليظاً عليه وإن كان معسراً لم يتبع بقيمته. ويجب القطع فقط. ويسقط الغرم تخفيفاً عنه.

٢ - **قال الحنفية**: إذا هلك المسروق فلا يجتمع على السارق وجوب الغرم - الضمان - مع القطع فإن اختار المسروق منه. الغرم - لم يقطع السارق أى قبل وصول الأمر للحاكم. وإن اختار القطع واستوفى منه لم يغرم السارق. لأن الشارع سكت عن الغرم فلا يجب مع القطع شىء.

٣ - **وقال الشافعية والحنابلة**: يجتمع قطع وضمان. فيرد ما سرق لمالكه. وإن تلف فيرد بدله فإذا تلف المسروق فى يد السارق ضمن بدله: برد مثله إن كان مثليا. وقيمته إن كان قيميا، سواء أكان موسرا أم معسراً. قطع أم لم يقطع.

فلا يمنع القطع وجوب الضمان، فالضمان يجب لحق الآدمى، والقطع يجب لحق الله تعالى. فلا يمنع أحدهما الآخر، والقول الراجح هو قول الشافعية والحنابلة. لاختلاف سبب كل من الضمان والقطع[1]. أ. هـ.

وإذا تكررت السرقة. قطعت يده اليمنى فى السرقة الأولى باتفاق. وإذا سرق الثانية قطعت رجله اليسرى باتفاق أيضاً.

وأما إذا سرق الثالثة. فقد اختلفوا فى قطع اليد اليسرى. منع من ذلك الحنفية والحنابلة وقال المالكية والشافعية تقطع.

ثم إن سرق الرابعة فتقطع رجله اليمنى عند المالكية والشافعية ومنعه الحنفية والحنابلة، واليد إن قطعت. كانت ديتها خمسمائة دينار. ولكنها لما سرقت هانت فقطعت فى سرقة ربع دينار. وتقطع اليد من الكوع أو مفصل الرسغ وتقطع الرجل من مفصل القدم وهذا هو القول الراجح. قطع اليد رسول الله ﷺ من مفصل الزند. وقطع عمر رضى الله عنه الرجل من مفصل القدم كما روى ابن المنذر، ويجوز العفو عن السارق قبل أن يصل الأمر إلى الحاكم أو نائبه. أما إذا وصل إلى الحاكم فلا شفاعة ولا عفو.

روى الشيخان وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: أتى لرسول الله ﷺ بسارق قد سرق. فأمر به فقطع. فقيل: يا رسول الله. ما كنا نراك تبلغ به هذا.

قال: «لو كانت فاطمة بنت محمد. لأقمت عليها الحد».

وروى مالك فى الموطأ عن ربيعة أن الزبير بن العوام قال: (إذا بلغ – أى الحد – السلطان فلعن الله الشافع والمشفع).

وتقطع يد السارق إذا كان بالغاً عاقلاً باتفاق، وزاد الشافعية والحنابلة: كونه مختاراً وأضاف المالكية. ألا يكون للسارق على المسروق منه ولادة. فلا

---

(١) بتصرف: الفقه الإسلامى وادلته: ٦/ ٩٥، ٩٦.

يقطع الأب فى سرقة مال ابنه ولابد أن يكون المسروق ما لا متقوما. وأن يكون مقدراً. أى أن يكون نصابه ربع دينار شرعى من الذهب أو ثلاثة دراهم شرعية من الفضة الخالصة كما قرر جمهور المالكية والشافعية والحنابة ويشترط أن يكون المسروق فى حرز مثله. وأن يكون فى أصله ليس مباحاً عند الحنفية وأما الجمهور فيقولون بقطع سارق الأموال. سواء كانت فى أصلها مباحة أو غير مباحة وأن لا يكون للسارق فيه حق أو شبهة حق. فلا يقطع السارق من بيت المال لأنه مال العامة فيكون له فيه ملك وحق. كما أنه لا يقطع فى الاختطاف أو الخيانة فيما أؤتمن عليه أو الاختلاس أو النهب أو الغصب. وهذا باتفاق. لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس على الخائن ولا المختلس قطع» [رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة».

وقوله أيضاً: «ليس على المنتهب قطع» [رواه أبو داود عن جابر].

وفى كتب الفقه تفصيلات يمكن الرجوع إليها، لضيق المساحة فى هذا البحث.

* * *

حد الحرابة أو قطع الطريق

إن الإفساد فى الأرض جريمة خطيرة. ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

ولذلك تكون عقوبتها فى أغلب الأحيان هى: الإعدام: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وبإجماع المفسرين: إن هذه الآية تقصد المفسدين فى الأرض والقتلة الذين يثيرون الفوضى فى المجتمع المستقر. والعقوبة هنا من عدة أنواع. وهذا يبين أن العقوبة تختلف باختلاف حجم الجريمة وظروفها. فأثناء الإفساد فى الأرض. إذا وقعت حادثة قتل. فالعقوبة هى إعدام الجانى. والتى قد تتخذ شكل الصلب. إذا كانت الجريمة شائنة. أو أن الجانى قد سبب رعباً فى الأرض. والتالى يكون ترك جسده على الصليب رادع هام. وإذا تجاوز المفسدون فى الأرض حدودهم فتقطع أيديهم وأرجلهم.

أما حالات الإفساد الأقل درجة فتكفى عقوبة السجن[١] (أو ينفوا من الأرض) وقد اتفق العلماء: على أن من قتل وأخذ المال. وجب إقامة الحد عليه. ولا يسقط العقاب بعفو ولى المقتول. والمأخوذ منه المال. خلافا للقتل العادى.

قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم[٢].

وإنما كانت عقوبة قطاع الطريق بهذه الصورة القاسية لأنهم قد خالفوا أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ ولم ينصاعوا له فكانوا بذلك محاربين لله ولرسوله كما

(١) دين الإسلام: ٥٠٩. (٢) المهذب: ٢/ ٢٨٤.

أنهم بذلك ينشرون الرعب والفزع والخوف بين أبناء المجتمع أفرادا وجماعات لذلك كان حد قطاع الطريق فوق القصاص وحد السرقة .

إن حد قطاع الطريق على الترتيب المذكور فى الآية المذكورة . لأن الجزاء يجب أن يكون على قدر الجناية . على ما قاله الحنفية والشافعية والحنابلة . ولكنهم اختلفوا فى كيفية الترتيب فقال الحنفية : إن أخذوا المال . تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وإن قتلوا فقط . قتلوا . وإن قتلوا وأخذوا المال . كان الإمام بالخيار . إن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . ثم قتلهم أو صلبهم . وإن شاء لم يقطع . وإنما يقتل أو يصلب . وإن أخافوا الطريق فقط دون قتل ولا أخذ للمال . ينفوا من الأرض . أى يحبسوا ويعزروا . كما ذكر الكاسانى فى البدائع والسرخسى فى المبسوط وقال علماء الشافعية والحنابلة . إن أخذوا المال فقط قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف . وإن قتلوا ولم يأخذوا المال . قتلوا ولم يصلبوا . وإن قتلوا وأخذو المال . قتلوا وصلبوا، وإن أخافوا ينفوا من الأرض[١] .

وقال الإمام مالك رضى الله عنه : الأمر فى عقوبة قطاع الطرق راجع إلى اجتهاد الإمام ونظره ومشورة الفقهاء بما يراه أتم للمصلحة وأدفع للفساد . وليس ذلك على هوى الإمام ولا يجوز العفو أو التنازل عن حد قطاع الطرق لبشاعة فعلهم بترويع الآمنين أفراداً وجماعات .

البغــــاة

البغى لغة : له معنيان هما : إما الطلب كما فى قوله تعالى : ﴿ **ما كُنَّا نَبْغِ** ﴾ أو التعدى ﴿ **فَإن بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ** ﴾ .

وفى اصطلاح الفقهاء هو الامتناع من طاعة من تثبت إمامته فى غير معصية بمغالبة ولو تأولا . كما عرفه ابن عرفة من علماء المالكية .

---

(١) المهذب للشيرازى ٤ /٦ والسياسة الشرعية لابن تيمية : ٧٨ .

وعرف جمهور المالكية البغاة: بأنهم الذين يقاتلون على التأويل. مثل الطوائف الضالة كالخوارج وغيرهم. والذين يخرجون على الإمام أو يمتنعون من الدخول في طاعته. أو يمنعون حقاً وجب عليهم كالزكاة وشبهها.

وقال الحنابلة: هم الخارجون على إمام ولو غير عدل بتأويل سائغ ولهم شوكة. ولو لم يكن فيهم مطاع ويحرم الخروج على الإمام ولو غير عدل.

وقال الشافعية قولاً قريباً من هذا.

أما الحنفية فقالوا: بأنهم قوم لهم شوكة ومنعة خالفوا المسلمين في بعض الأحكام بالتأويل وظهروا على بلدة من البلاد. وكانوا في عسكر وأجروا أحكامهم كالخوارج وغيرهم أما الخوارج والحرورية: فهم قوم خرجوا على علىّ واستحلوا دمه ودماء المسلمين وأموالهم وسبى نسائهم، وكفروا أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن كل ذنب كفر. وكانوا متشددين في الدين تشدداً زائداً.

والبغي بمعنى التعدى. حرام. فقد أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من خرج من الطاعة. وفارق الجماعة فمات. مات ميتة جاهلية » وروى الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ « من خرج من الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. ومن مات وليس عليه إمام جماعة. فإن ميتته ميتة جاهلية ».

وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر. فإن من فارق الجماعة شبرا. فمات فميتته جاهلية » وفى رواية: « من كره من أميره شيئا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية ».

وأخرج الشيخان من حديث ابن عمر ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « من حمل علينا السلاح فليس منا » وعلى الإمام إذا لم يكن للبغاة منعة – أى حصن يتحصنون فيه – أن يأخذهم ويحبسهم حتى يتوبوا.

وأما إن تأهبوا للقتال. وكان لهم منعة وشوكة - أى حصن وسلاح - فعليه أن يدعوهم إلى التزام الطاعة ودار العدل والرجوع إلى رأى الجماعة والتوبة.

فإن أبو ذلك قاتلهم أهل العدل حتى يهزموهم ويقتلوهم. ولا يبدؤهم الإمام بالقتال حتى يبدءوا هم. لأن قتالهم لدفع شرهم ورد بغيهم.

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.** ﴾ [الحجرات: ٩].

وروى أحمد بإسناد حسن عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن. كما قاتلت على تنزيله» ويقصد بذلك سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وأما أموالهم فيحبسها الإمام عنهم حتى يزول بغيهم. ثم يعطيها لهم. لأن أموالهم أموال مسلمين. كما أن البغاة يضمنون ما أتلفوه من الأنفس والأموال حال حربهم.

وأجمع العلماء على أنه لا إثم ولا كفارة على أهل العدل بقتلهم أهل البغى ولا يضمنون ما أتلفوه عليهم.

اللهم ألف بين قلوبنا ووحد كلمتنا وانصرنا على أعدائنا إنك على ما تشاء قدير.

* * *

حد شارب الخمر والمخدرات

الخمر هى : كل ما خامر العقل أى غيبه من مشروب ومأكول ومشموم. وتناولها حرام وقد ثبت حرمتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة : ٩٠ - ٩١].

روى أحمد ومسلم والدارقطنى وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ».

وفى رواية : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ».

وروى أصحاب السنن عن اثنى عشر صحابياً أن النبى ﷺ قال : « من شرب الخمر فاجلدوه ».

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها » وهو ما نلاحظه فى هذه الأيام يسمونها بأسماء كثيرة .

والخمر والمخدرات فى الحرمة سواء. لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً كما قال الأصوليون ولما كانت علة تحريم الخمر هى : السكر وغياب العقل. وهو أيضاً متحقق فى المخدرات بكل أنواعها وهذا بخلاف الآثار الضارة بصحة الإنسان. ولا يشك فى هذا عاقل أبداً.

مقدار الحد :

قال جمهور الفقهاء : حد الشرب والسكر ثمانون جلدة. فقد روى

الشافعي والدارقطني: أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «إذا شرب سكر. وإذا سكر هذى. وإذا هذى افترى، وحد المفترى ثمانون» ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فكان إجماعاً وكان النبي ﷺ يأمر بضرب السكران - كما روى أبو هريرة - أربعين وقال أنس: كان النبي ﷺ يضرب في الخمر بالجريد والنعال أربعين وقال علي كرم الله وجهه «جلد رسول الله ﷺ أربعين. وأبو بكر. أربعين وعمر ثمانين. وكلٌ سنة. وهذا أحب إليَّ» رواه مسلم من حديث حصين ابن المنذر.

وقال الشافعية: حد الخمر وسائر المسكرات أربعون جلدة. وزاد عمر أربعين للتعزير ولا يجب الحد إلا بالشروط التالية:

١ - أن يكون الشارب عاقلا.

٢ - أن يكون بالغاً.

٣ - أن يكون مسلماً.

٤ - أن يكون مختاراً غير مكره.

٥ - ألا يكون مضطرا إلى شربه لغصة.

٦ - أن يعلم أن الذى يتناوله خمر.

٧ - أن يعلم أن الخمر محرمة.

٨ - أن يكون مذهبه الفقهي يحرم ما شرب. ولم يكن يبيح شربه فإذا تحققت هذه الشروط لزم قيام الحد.

هذا وقد شنع الإسلام بالخمر لأنها أم الخبائث.

روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها».

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شارب الخمر كعابد الوثن» وفي رواية: «مدمن خمر كعابد وثن».

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذى حرم شربها حرم بيعها».

والخمر وسائر المخدرات بكل أنواعها لها آثار خطيرة لذلك حرم الإسلام تناولها.

وقد اتفق علماء الشافعية على أن السكران المتعدى بسكره يتحمل كافة التبعات وكل تصرفاته حال سكره. فهو مسئول عن كل ما يصدر منه من قول أو فعل. وذلك تغليظاً عليه فى العقوبة.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب كأساً من خمر الدنيا حرمه الله تعالى من خمر الجنة».

لذا يجب على كل أهل التوجيه والإرشاد أن يعملوا جادين على حماية شباب الأمة من هذا الوباء وذلك الغول الذى يهدد حياة الشباب المسلم.

* * *

ثانياً - التعزير

التعزير هو الطريقة الثانية لتطبيق قانون العقوبة فى الشريعة الإسلامية. وهو غير الحد. ومعناه لغة: هو من العزر. وهو: الرد والمنع. وتأويل عزرت فلانا، أى أدبته إنما تأويله. فعلت به ما يرده عن القبيح. كما ذكر ابن منظور فى لسان العرب.

ويأتى بمعنى النصر. لأنه منع لعدوه من أذاه. قال العلامة الألوسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧]: أى منعوه حتى لا يقوى عليه عدوه.

ومعناه فى إصطلاح الفقهاء هو: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود. كما قال الماوردى فى الأحكام السلطانية.

دليل مشروعيته:

الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فأما الكتاب: فقول الله عز وجل: ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ** ﴾ [النساء: ٣٤] وتأديب الزوجة موكول إلى زوجها. والزوج لا يملك إقامة الحد. فيكون تأديب المرأة تعزيرا.

وأما السنة: ما رواه البخارى فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا فى حد من حدود الله تعالى.

وما رواه الترمذى والنسائى: أن رسول الله ﷺ حبس رجلاً فى تهمة. ثم خلى عنه. وثبت أن عمر بن الخطاب. كان له سجن وتبعه فى ذلك: عثمان وعلى رضى الله عنهم.

وأما الإجماع: فقد أجمع الفقهاء على أن التعزير يجب فيه من جلدة إلى عشرة. واختلفوا فى أكثر من ذلك.

وأما المعقول: فهو أن التعزير زجر عن الأفعال السيئة كيلا تصير ملكات. فيفحش. ويستدرج إلى ما هو أقبح منه. قاله الماوردى فى الأحكام السلطانية.

قدر التعزير:

يكون التعزير على قدر الجناية. وعلى قدر مراتب الجانى بحسب اجتهاد الحاكم باستشارة الفقهاء. وذوى المعرفة والخبرة بأحوال الناس.

ويكون التعزير: بالحبس أو بالضرب أو بالتغليظ فى القول. أو بالعزل من الولاية أو بالطرد من المجلس... إلخ.

ويحرم فى التعزير: حلق اللحية. وقطع طرف. وجرح. وأخذ مال وإتلافه – فى مذهب الحنابلة – وتعزر تعزيرا بالغاً المرأة القوادة التى تفسد النساء والرجل ويشهر ذلك بحيث يعرف الناس وأقل التعزير سوط واحد. واختلف العلماء فى أقصاه:

فقال أبو حنيفة ومحمد والشافعية والحنابلة: لا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود الشرعية فينقص منه سوط وأدنى الحدود عند الشافعية بالنسبة للأحرار هو أربعون جلدة. وهو حد الخمر. وعند الآخرين هو بالنسبة للمماليك. وهو أربعون جلدة. وهو حد القذف للعبيد لقوله عليه السلام: «من بلغ حدا فى غير حد فهو من المعتدين» [رواه البيهقى عن النعمان بن بشير].

ولأن العقوبة على قدر الإجرام والمعصية. والمعاصى المنصوص على حدودها أعظم من غيرها فلا يجوز أن يبلغ فى أهون الأمرين عقوبة أعظمهما.

وقال أبو يوسف: لا يبلغ الحد ثمانين. وينقص منه خمسة أسواط. لأنه حمل الحد المذكور فى الحديث السابق «من بلغ حدا» على الأحرار. لأن الأحرارهم المقصودون فى الخطاب وغيرهم محلق بهم. وقد أخذ برأى الإمام على

فى أنه ينقص عن الثمانين جلدة خمسة أسواط وقال المالكية: يضرب الإمام فى التعزير أى عدد أداه إليه اجتهاده. حتى ولو تجاوز أعلى الحدود. فيجوز التعزير بمثل الحدود وأقل وأكثر على حسب الاجتهاد.

كما روى أن معن بن زائدة عمل خاتماً على نقش خاتم بيت المال. ثم جاء به صاحب بيت المال. فأخذ منه ما لا. فبلغ عمر رضى الله عنه. فضربه مائة وحبسه. فكلم فيه. فضربه مائة أخرى. فكلم فيه من بعد. فضربه ونفاه.

وكان جلد عمر لمعن على عدة جنايات هى: تزويره الخاتم. وأخذ المال من بيت المال. وفتحة باب الاحتيال لغيره من الناس.

ويؤيد رأى المالكية أيضاً: ما روى عن الإمام على رضى الله عنه. أنه جلد من وجد مع امرأة من غير زنا مائة سوط إلا سوطين[١].

حكم التعزير:

هو عند المالكية والحنابلة: حق واجب لله تعالى إذا رآه الإمام. ولا يجوز للإمام ترك التعزير لأنه زاجر مشروع لحق الله تعالى. فوجب كالحد.

وقال الشافعية: ليس التعزير واجباً. ويجوز للسلطان تركه إذا لم يتعلق به حق لآدمى روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا فى الحدود».

وما رواه الشيخان عن أنس بن مالك وأحمد من حديث أبى أمامة: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: إنى لقيت امرأة فأصبت منها مادون أن أطأها. فقال: أصليت معنا؟ قال: نعم. فتلا عليه ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾.

وروى أحمد والشيخان عن ابن مسعود أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: «إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله» فلم يعزره. ولو كان التعزير واجباً ما تركه

---

(١) الفقه الإسلامى وأدلته: ٦/ ٢٠٦، ٢٠٧.

رسول الله ﷺ ، والخلاصة عند الشافعية : أن التعزير إذا كان حقا لله تعالى فلا يجب تنفيذه . أما إن كان حقاً للعبد . ولم يعف عنه صاحب الحق . وجب تنفيذه .

وقال الحنفية : إن كان التعزير حقاً لله تعالى . فالأمر فيه مفوض للحاكم . وإذا كان حقا شخصياً لإنسان . فهو واجب لا عفو فيه .

هذا : ويثبت التعزير بما يثبت به سائر حقوق العباد من الإقرار والبينة وعلم القاضي وشهادة النساء مع الرجال وأى وجه آخر من أوجه الإثبات . والله أعلم .

الفرق بين الحد والتعزير :

هناك فروق بينهما كثيرة ذكرها الفقهاء . أهمها :

١ - عقوبة الحد مقدرة من الشرع . وليس للقاضي أن يستبدل بها أو يزيد أو ينقص منها .

٢ - الحدود واجبة ليس فيها عفو ولا إسقاط . أما التعزير فإن كان حقا لله فإنه تجب إقامته ويجوز العفو فيه إن رئيت في ذلك مصلحة . أما إذا كان حقا للفرد فإن لصاحب الحق أن يعفو .

٣ - لا يجب الحد على الصبي . ولكنه يعزر للتأديب .

٤ - التعزير يختلف باختلاف الفاعل والمفعول به . والحدود لا تختلف باختلاف فاعلها .

٥ - الحدود تدرأ بالشبهات . أما التعزير فيثبت بالشبهة .

٦ - الحدود مخصوصة بالإمام وليس غيره . أما التعزير فهو حق للإمام ولغيره ممن له ولاية .

٧ - ما يحدث من تلف في الحد هدر . أما في التعزير فيجب ضمان ما أتلف عند الشافعية والمالكية .

٨ - الحدود تثبت بالإقرار والبينة ولا يؤخذ فيها بشهادة النساء ولا الشهادة على الشهادة بخلاف الحال فى جرائم التعزير.

هذا: وإن الشريعة الإسلامية تجوز لكل ذى ولاية أن يعزر من يلى أمره للتأديب وللزجر. فالأب يؤدب ولده والزوج يضرب زوجته تأديباً فى حالة النشوز، والمعلم يؤدب الطالب والسيد يؤدب عبده. والحاكم يعزر الرعية تأديباً وزجرا لكل من يرتكب مخالفة أو يذنب ذنباً فهو عدوان على الدين أو على المجتمع أو على الأفراد والجماعات.

* * *

الفصل الثالث

الإسلام والعالم

الإسلام هو دين البشر كلهم. وليس دين العرب وحدهم. وليس دين أمة دون الأمم الأخرى. كما يعتقد البعض من مفكرى الغرب أو الشرق فالإسلام كله – عقيدة وشريعة وأخلاقا – للبشر جميعاً. لأنه دعوة من العلى الكبير لعباده جميعاً من الإنس والجن ممن عاصر بداية نزول الوحى على سيدنا محمد ﷺ وحتى تقوم الساعة. فالكل مأمورون من الله تعالى لكى يعبدوه وحده ولا يشركوا معه أحداً ولاشيئا من خلقه مهما علا قدره وارتفع شأنه لأن العبادة لا يجوز للعبد أن يتوجه بها لغير الله تعالى.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ففى هذه الآيات وغيرها كثير دلالة واضحة وأكيدة على عالمية الإسلام وليس الأمر كما تدعى طائفة العيسوية من اليهود – أتباع عيسى الأصبهانى – الذين قالوا: «إن محمداً صادق مبعوث إلى العرب غير مبعوث إلى بنى إسرائيل» فهؤلاء وأمثالهم ممن سار على نهجهم قالوا: زورا وبهتانا وكفرا. لأنهم ينكرون بذلك القول صريح القرآن الكريم. وكل من اعتنق هذا الادعاء وآمن به فهو إما جاهل أو حاقد على الإسلام وأهله.

إن رسول الله ﷺ قد خرج بالدعوة من جزيرة العرب إلى أمم أهل الأرض وليس أدل على ذلك من بعثه رسله بكتبه إلى ملوك وقادة العالم من خارج الأرض العربية. يدعوهم إلى الإسلام هم ورعاياهم.

ولما لقى رسول الله ﷺ ربه عز وجل أخذ الصحابة على عاتقهم مسئولية

تبليغ الدعوة لكل أهل الأرض وانتشروا شرقاً وغرباً ينشرون دعوة الإسلام حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وأمما وشعوباً من جبال البرانس فى فرنسا غرباً إلى حدود الصين شرقاً ورفرفت على هذه البلاد رايات الحق والعدل والمساواة والمؤاخاة والرحمة ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ولكنها مشيئة الله تعالى وقد شمل الإسلام برحمته كل أهل الأرض المسلمين وغير المسلمين. فأقام العلاقة بينهما على العدل والحرية والاحترام المتبادل والتعاون فى كافة المجالات من أجل تحقيق الأمن والأمان والسلم بين البشر جميعاً. ويظهر ذلك جليا فى الحديث عن أمرين هما:

أولاً: الوحدة الإنسانية فى الإسلام.

ثانياً: الإسلام والعلاقات الدولية.

١ - الوحدة الإنسانية فى الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٠] ينظر الإسلام إلى الإنسانية على أنها وحدة لا فرقة فيها بالأجناس أو الألوان أو الأقاليم أو اللغات، فالبشر - وإن انتشروا فى الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا - كلهم لآدم وآدم من تراب. لقد خلقهم الله تعالى من نفس واحدة ومن طينة واحدة. وتلك حقيقة مؤكدة، قال الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١].

إن هناك رحما بين البشر يجب وصلها. رغم تباين أجناسهم وألوانهم وألسنتهم مهما تفرقت بهم البلدان. لأنهم يجتمعون فى الإنسانية وكلهم من

آدم وحواء عليهما السلام وأما اختلاف ألوانهم ولغاتهم فهو آية من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعظمته قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾

[الروم : ٢٢]

وأما الرحم التي يجب وصلها بين بني الإنسان . فهي تفرض عليهم التعاون في مختلف شئون الحياة . كما تفرض على الأقوياء مساعدة الضعفاء وعلى الأغنياء مساعدة الفقراء :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

وتتجلى أهم مظاهر الوحدة الإنسانية فيما يلي :

أولاً : وحدة التعارف والتآلف :

لقد خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . قال الله عز وجل : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾ [الروم : ٢٠] لقد توزعت الأرض أبناء آدم وفرقت بينهم أجواؤها وأحوالها وتباينت الألوان والألسنة وتنوعت أشكال المعيشة . ورغم ذلك فإن الأخوة في الإنسانية ثابتة بحكم الإسلام كما جاء في القرآن الكريم . والتعارف واجب على البشر . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

قال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى : وإن التعارف هو تثبيت الوحدة الجامعة . وتأليف القلوب المتفرقة هو أساس العلاقة . هذا وإن التعارف بلا

ريب يقتضى المساواة والكرامة الإنسانية التي أعطاها الله تعالي للإنسان بمقتضى كونه إنسانا كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠] وإن التعارف الإنساني يوجب أن يفيض أهل كل إقليم بفائض خيرهم على أهل الإقليم الذى شحت أرضه بمثل ما عند الإقليم الذى يكون عنده فائض الخير فالإقليم الذى يكثر فيه القمح لا يرمى فى البحار ويغالى فى الأسعار. بل يفيض به على من ليس عنده قمح. ومن عنده مواد الكساء يفيض بها على من ليس عندهم هذه المادة. وإذا كانت الأرزاق فى أرض الله تعالى متباينة. فإنه بحكم الإنسانية الموحدة تتلاقى ثمراتها. وتجتمع عند أهل كل إقليم. وحينئذ يكون التباين خيراً ليتوافر للجميع الخير العميم ولذلك ورد فى بعض الآثار المنسوبة للنبى ﷺ: «الناس بخير ما تباينوا فإن تساووا هلكوا».

وإن التعارف يوجب التعاون فى رفع الحق وخفض الباطل. وسيادة الفضيلة والمساواة العادلة بين بنى الإنسان. وإن يدفع الظلم عن كل بنى الإنسان. وأن يقف أهل كل إقليم أنفسهم لمساندة الضعيف فى أى أرض من أرض الله حتى لا يفسد الظلم أهل الأرض[1] أ. هـ.

ثانياً: وحدة الفطرة الإنسانية:

الخلق جميعاً متساوون في الفطرة ولا يفرق بينهم جنس ولا لون ولا إقليم فى فطرهم: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

[الروم: ٣٠]

إن الذى يفرق بين الناس هو التوجيه والتعليم فالطبائع فى أصلها واحدة، قال الله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ

(١) الوحدة الإسلامية: ١١.

أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فالناس متساوون فى الغرائز والمنازع. ولكن ما يفرق بينهم هو اتباع الهوى والشيطان أو ما يفرض عليهم من التوجيه والتعليم من ذوى الحكم والسلطان. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨].

ثالثاً: كل الأجيال أمة واحدة:

لا يفرق الإسلام بين جيل وجيل ولا بين أهل عصر وأهل عصر آخر. فكل الأجيال أمة واحدة. والإنسان ابن الإنسان. والنفس البشرية واحدة فى الماضى والحاضر. وكل أبناء الأجيال فى مواجهة الأديان السماوية سواء. يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ * إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩١، ٩٢].

رابعاً: عالمية الإسلام:

الإسلام دين البشر جميعاً. ومحمد ﷺ بعث للناس كافة. وأرسله ربه عز وجل رحمة للعالمين. وهذا يدل فى وضوح على عدم تمايز الناس فى الإنسانية بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الإقليم. وإنما كل بنى آدم أمة واحدة. والأمر بالإيمان بالله تعالى فى القرآن الكريم لهم جميعاً.

لذا رأينا من أصحاب النبى ﷺ - بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى على قدم المساواة مع أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وأسامة وغيرهم رضى الله عنهم جميعاً ونقرأ فى كتاب ربنا قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾ [سبأ: ٢٨].

فهذان النصان يدلان على عموم رسالة محمد ﷺ. وأنه عليه الصلاة والسلام مكلف بالتبليغ لكل أهل الأرض. ولا يخص بدعوته إقليما دون إقليم ولا جنسا دون جنس. وإنما الكل سواء.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٧٠] ثم هو يخص أهل الكتاب بالخطاب خاصة بعدما خاطبهم مع سائر البشر لسابق معرفتهم بأديان السماء. فهم إما على اليهودية وإما على النصرانية. قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة: ١٩] فعالمية الإسلام تدل على أن البشر جميعاً إخوة فى الإنسانية.

خامساً – الإسلام والعرب :

إن الله عز وجل قد اصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفى من بني هاشم سيدنا محمداً ﷺ وبعثه للعالمين بشيراً ونذيراً. وأنزل عليه القرآن الكريم. فكانت أرض العرب هي مشرق النور المحمدي، فهي أول ميادين الدعوة الإسلامية قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال له من بعد ذلك ما يدل على عموم رسالته وأنها للبشر جميعاً ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الجمعة: ٣].

فأمره أن يبدأ بالدعوة في مكة. وكانت البداية ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤ – ٢١٦] ثم قال له: ﴿ **لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ [الشورى: ١٧] وقال له: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الحجر: ٩٤]

فدعا ﷺ أهله وعشيرته ثم أهل مكة. ولما انتهت المرحلة السرية للدعوة وأخذ يجهر بها، أخذ يعمل على تبليغ الدعوة لمن هم خارج مكة. فكان يعرض نفسه على القبائل في كل عام في موسم الحج وخرج إلى الطائف ليدعو أهلها إلى الإسلام ثم اتصل بما يحوط مكة من قبائل العرب.

ثم كان الإذن بالهجرة إلى المدينة المنورة. وهناك انتشرت الدعوة. وسمع بها الناس داخل وخارج شبه الجزيرة العربية. وبعدما استقر له الأمر بالمدينة ووضع لبنات بناء الدولة الإسلامية بعث إلى ملوك الأرض وسلاطينها وأباطرتها برسائل يطلب منهم أن يسمحوا لشعوبهم بالدخول في دين الله أفواجاً وظل ﷺ يجتهد

فى نشر دعوته حتى لقى ربه عز وجل . وقد سمعت الدنيا بأمره . فتولى حمل الأمانة من بعده الصحب الكرام رضى الله عنهم . الذين خرجوا بالإسلام إلى خارج الحدود العربية . إلى بلاد فارس والترك والعجم وشمال إفريقيا والأندلس قال الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح : ٢٨ ، ٢٩] .

لقد أختار الله العرب ليبزغ من أرضهم نور الهداية المحمدية . وتسطع فى سمائهم شمس الحرية والتخلص من قيود العبودية لغير الله تعالى وقد اصطفى الله عز وجل الأمة العربية من بين أمم بنى آدم لكى تكون الأرض الصالحة لحمل نبت الرسالة المحمدية الخالدة . والله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ .

ولنا أن نبحث عن الحكمة فى ذلك . فنجدها فيما يلى :

أولاً : إن أرض العرب كانت هى دائماً فى الزمن الماضى مسرحاً لدعوات الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم . يروى المؤرخون الثقات أن نبى الله أدريس عليه السلام قد بعث بأرض العرب . وكذا نوح عليه السلام ويقال إنه مدفون بها وكذلك صالح وشعيب وهود ولوط وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى . وقد ختموا جميعاً بمحمد ﷺ وعليهم تسليماً كثيراً . فهى أرض النبوات منذ القدم .

ثانياً : لقد اختار الله تعالى خاتم الرسل ﷺ من العرب . وهو يتحدث بلغتهم ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٤] .

وهذا الأمر يزيد من أعبائهم إذ يضع فى أعناقهم أمانة تبليغ الدعوة بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

ثالثاً: العرب هم أصلح الناس لاستقبال الدعوة إلى الله تعالى. ولديهم المقومات التى تمكنهم من ذلك. والتى نجمل أهما فيما يلى:

(أ) إن العرب لم يذلوا فى حياتهم لملك أو لذى سلطان مما جعلهم أحرارا فيما يقولون وفيما يفعلون. وهو ما لم يتوفر فى غيرهم من الأمم الأخرى التى كان يحكمها ملوك وأباطرة أو فراعنة. لذلك فإن العرب كانوا يشعرون بالحرية والمساواة والعدل أكثر من غيرهم.

(ب) إن طبيعة الأرض العربية الصحراوية القاحلة. وطبيعة مناخها القاسى لم يكن ليطمع أحدا فى استعمارها. فصحراؤها كانت لهم حصناً منيعاً من الغزاة مثل ما كانت نفوسهم الأبية حصناً آخر لمبادىء الحرية والعدالة والمساواة.

(جـ) كان فى العرب قوة شكيمة أكسبتهم قوة فى الخلق. وكرما فى الصفات الحميدة لذا أبقى الإسلام على الكثير من أخلاقهم وصفاتهم التى أظهرت قدراً كبيراً من سلامة فطرتهم. ولذلك تقبلوا الإسلام - بعد ما فهموه - فى إعجاب بما يدعو إليه من التمسك بالقيم والفضائل الخلقية الرفيعة والعظيمة.

(د) كانت العقيدة فى الإسلام قريبة منهم كما كانت شريعته أيضاً وهى تقوم على مبادىء العدل والمساواة والحرية والعزة والكرامة والسلوك القويم الرشيد، فالعقيدة الإسلامية تتكون من:

١ - وحدة التكوين والخلق. فالله تعالى هو الخالق البارىء المصور القادر على كل شىء.

٢ - وحدة الذات فالله عز وجل ﴿ ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

٣ – وحدة العبودية. فالله سبحانه وتعالى هو المعبود وحده ولا معبود سواه.

فالعنصران الأولان ثابتان عند العرب. فهم يذعنون لإرادة الله تعالى وحده فى الخلق والتكوين وهم يعتقدون أنه لا شىء يشابه ذاته المقدسة.

وهم مع إقرارهم بوحدانية الخلق والتكوين والذات والصفات. يشركون فى العبادة مع الله تعالى الأوثان وغيرها. وإن ظل بعضهم يتعبد بما بقى من الأديان السماوية السابقة، قال العليم الخبير الذى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة. مبيناً لنبيه ﷺ حقيقة حال العرب ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولكن مع ذلك قالوا عن عباديتهم للأصنام ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر: ٣].

والعرب بعقيدتهم هذه يكونون أقرب الأمم وأوضحهم إلى العقيدة الإسلامية. مما يجعل استعدادهم لقبول دعوة الإسلام أكثر من غيرهم. مع ما يتمتعون به من الحرية فى القول وفى الفعل.

وهذا ما لم يكن متيسراً عند غيرهم من الأجناس الأخرى التى كانت غارقة فى بحار من الضلال والكفر. ووقوعهم تحت سيطرة ذوى السلطة من الملوك والفراعنة والأباطرة مما يجعل استعدادهم ضعيفاً لقبول الإسلام. فليس لهم ما للعرب من الشعور بالحرية والكرامة الإنسانية.

كما أن العرب كانت فيهم بقية من الحنيفية: دين سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وصلتهم به الكعبة المشرفة ومناسك الحج التى كانت تؤدى فى كل عام.

فهذا كان أيضاً للعرب خاصة دون غيرهم من الأجناس الأخرى. وهم مع هذا انحرفوا بشريعة إبراهيم عليه السلام. فأشركوا فى العبادة.

ورغم هذا فإن العرب لم يكونوا على اعتقاد جازم وعلم قاطع بما توهموه من عبادتهم للأصنام. بل كان هذا منهم: وهم وظن لم يستغرق النفوس ولم يصل إلى أعماقها فالعرب بحالهم هذه كانوا أقرب الناس لفهم عقيدة التوحيد الإسلامية.

وذلك علاوة على ما رأواه فى رسول الله ﷺ من الصفات الحميدة والخلق العظيم الذى كان يتمتع به قبل البعثة وبعدها حتى أنهم - قبل بدء الدعوة لقبوه ﷺ. بالصادق الأمين. لدرجة أنهم كانوا يضعون عنده ودائعهم وأماناتهم بعد البعثة اعترافاً منهم بصدقه وأمامنته وحسن خلقه ولذلك يسجل القرآن الكريم عليهم ولهم هذا الموقف. فيقول الله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٣] ولم يقل: (ينكرون) لذلك كله شرف الله العرب بأن يكونوا أول من يستقبل وحى السماء. ليكونوا هم الأصحاب وهم السند المناضل مع رسول الله ﷺ حتى يتمكن من تبليغ دعوته كما كانوا الخلفاء له. يسيرون على دربه. ويرسلون الجيوش الإسلامية هنا وهناك حتى رفعوا رايات الإسلام عالية خفاقة على حدود الصين شرقاً. وعلى جبال البرانس بفرنسا غرباً. لقد دخل الناس فى دين الله أفواجاً. تقود مسيرتهم الإيمانية أمة العرب التى جمع الإسلام فرقتها لمَّ شملها. وصنع منها أمة قوية أرهبت الأعداء.. وسرت الأصدقاء. وأدبت اللئام. وجاهدت فى الله حق جهاده فزلزلت عروش القياصرة والأكاسرة وحررت شعوبهم من ربقة العبودية لهم. وجعلتها عبودية خالصة الله تعالى يقول ربنا عز وجل ممتنا عليهم: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومما تجب الإشارة إليه وهو موضوع هام وخطير - أنه يجب علينا أن نعلم

أن الأمة العربية ليست كياناً مستقلاً. وإنما هى جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية. فالعربى مرتبط ارتباطا وثيقاً بكل مسلم فى أى مكان فى المعمورة. والأمة العربية تمثل القلب فى جسم الأمة الإسلامية. وقد أراد الله لها. وأراد منها أن تكون هى الرائدة للأمة الإسلامية كون لغتها هى لغة الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾ [إبراهيم: ٤] وقوم الرسول ﷺ هم العرب لأنه منهم ومن أشرف بيوتهم حسباً ونسباً ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ففى أرجح أقوال المفسرين: ﴿ **مِّنْ أَنفُسِكُمْ** ﴾ أى منكم أيها العرب تعرفون حسبه ونسبه لأن النبى - دائماً - يختار من أشراف قومه.

وقد ظن بعض الجهلة بلغة القرآن وبأساليبه أن النبى ﷺ قد بعث إلى العرب خاصة. وكذبوا. لأن القوم هم: الجماعة من الناس من أهله وذويه وصحابته. ولم يكونوا هم كل الناس الذين يكونون الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض وفى مغاربها. ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

كما يجب أن نعلم أن الدعوة إلى القومية العربية. دعوة آثمة دينيا. لأنه يقصد بها تفتيت وحدة الأمة الإسلامية. وتحويلها إلى كيانات صغيرة تضعف شأن الأمة ولذلك رأينا من بين أصحاب هذه الفكرة: شيوعيين وملحدين وصليبيين. ولم نر من بينهم مسلماً يخشى الله عز وجل. ولذلك فشلت هذه الفكرة لعدم قدرتها على مواجهة منهج الله تعالى فدور العرب بالنسبة للعالم الإسلامى هو دور القائد والمعلم والرائد رحم الله أسلافنا.

٢ - الإسلام... والعلاقات الدولية:

قال الدكتور محمد عبد الله دراز[1] رحمه الله تعالى:

---

(١) نظرات فى الإسلام ص ١٠٩، ١١٠.

هل جاء الإسلام ليكون ديناً محلياً يستوعب جزيرة العرب.. وما حولها؟

وهل جاء ليدعو إلى إيجاد أمة إسلامية تتعصب لدينها وجنسها؟

أولاً: لم يجيء الإسلام ليكون دين الجزيرة العربية لأنه بدأ يخاطب الناس جميعاً. وأعلن أن رسالته إلى العالم كافة.

وثانياً: لوجاء ليكون أمة إسلامية وسطا. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. لما كان فى ذلك شيء.

وإنما الحقيقة التى يجب أن توضح لكل ذى عينين. هى أن الإسلام وإن كان قد جاء لتأليف أمة إسلامية ناهضة. إلا أنه قد دعا إلى أخوة عالمية تقوم على أساس من التعارف ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...**﴾ [الحجرات: ١٣].

ودعا إلى العلاقات العامة على أسس من الحب والبر والعدل:

﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد نشد الإسلام السلام العالمى. ليكون دعامة فى العلاقات الدولية:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [البقرة: ٢٠٨].

والإسلام عنى بكرامة الفرد. الذى هو لبنة فى البناء الإنسانى. وذلك ليكون عضوا مؤسساً فى العلاقات العامة: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ..**﴾

[الإسراء: ٧٠]

إن هدف الإسلام من إيجاد أمة إسلامية. إنما لتكون أمة وسطا. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وذلك لتؤدى مهمة نبيلة إنسانية من أجل السلام العالمى والأمن الدولى.. ولا ريب فى أن أمة هذا هدفها. وهذه رسالتها. لابد أن

تدعم بناء العلاقات العالمية وتعمل على صيانتها ضد عواصف الشر. وملاحم الفتن، إن فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.. معنى إنسانياً وافياً لا يدع مجالا لذرة من الريب. فى أن الإسلام إنما جاء ليمنح البشرية: الأخوة والحب.... والسلام.. أ. هـ.

إن للفرد قيمته فى الإسلام. لأنه هو اللبنة التى يتكون منها المجتمع. لذلك يصون الإسلام له كرامته الشخصية التى وهبه الله تعالى إياها لأنه خليفة فى الأرض وقد بلغ من كرامته وحرمته عند ربه عز وجل أنه أسجد له الملائكة عليهم السلام[1] فإذا آمن هذا الفرد بربه عز وجل واتخذ الإسلام دينا له. فإن الإسلام يزيد من الاهتمام به. قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: «النفس بالنفس والثيب الزانى، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2].

وكما عمل الإسلام على صيانة حقوق الفرد مسلماً كان أو غير مسلم. عمل كذلك على تنظيم العلاقة بين الدولة الإسلامية وغير الإسلامية. وهو بهذا قد سبق ما يسمى بالقانون الدولى الذى ينظم العلاقات بين الدول المختلفة فى العالم.

هذا وتقوم العلاقة الدولية بين المسلمين وغيرهم وبين المسلمين والمسلمين كما يلى:

(أ) علاقة المسلمين بغير المسلمين:

غير المسلمين أربعة أصناف. وهم:

الأول: الحربيون: وهم الذين بينهم وبين المسلمين نزاع مسلح. أى أن حالة الحرب بين المسلمين وبينهم قائمة أو معلنة. وهؤلاء قتالهم فرض على القادرين من المسلمين على الجهاد ولا يجوز لأى أحد من المسلمين الفرار من

---

(١) سجود تشريف وليس سجود عبادة.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه.

قتالهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٥، ٧٦].

ويقول عز وجل: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقر: ١٩٣] ويأمر الله المسلمين بأن لا يقاتلوا إلا من أعلنهم بالقتال أو اعتدى عليهم. فقال: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

[البقرة: ١٩٠، ١٩١]

وينفى الإسلام الإيمان عن كل هؤلاء الذين يتخلفون عن الجهاد. قال الله تعالى فى من تثاقل عن الجهاد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩] وبين لنا ربنا عز وجل أن كل هؤلاء الذين يتأخرون عن القتال لا إيمان لهم بالله واليوم الآخر فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «رباط

يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. والروحة يروحها العبد في الجهاد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها» أخرجه الشيخان.

وروى أبو داود بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه. أن رجلا قال:

يا رسول الله ائذن لي في السياحة. فقال النبي ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل» وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

لذا يجب على المسلمين أن يكونوا دائماً في حالة استعداد للقاء عدوهم قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾ [الأنفال: ٦٠] والاستعداد بنوعيه المادي والمعنوي هو مسئولية رئيس الدولة. لأنه المسئول الأول عن حماية أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم. كما أنه مسئول عن حماية عقيدتهم وتأمين عبادتهم.

ويجب عليه وعلى الرعية اتخاذ الإجراءات التالية في حالة الحرب مع العدو وهي:

١ – الاستعداد بالقوة اللازمة (المادية والمعنوية).

٢ – إبعاد كل ما يضر بأمن القوات المسلمة ومعداتها وأسلحتها.

٣ – الاستعانة بالله عز وجل والثقة في نصره ومعونته ووجوب طاعته وعبادته.

٤ – طاعة رئيس الدولة فيما يراد من الحرب.

٥ – على القائد أن يفعل كل ما فيه مصلحة المسلمين.

٦ – إذا هوجمت أرض المسلمين. لزمهم جميعاً الخروج للقاء العدو وقتاله.

٧ – وجوب الثبات وعدم الفرار.

٨ – مراعاة السرية والأمن واستخدام التمويه الجيد.

٩ – مفاجاة العدو بالهجوم عليه بقتال الأقرب إلى المسلمين.

١٠ – ضرورة تجهيز كل ما يلزم القوات المسلحة من الشئون الإدارية (تسليح / مهمات / إيواء / ملبوسات / مياه وخلافه).

١١ – عدم السماع والاستجابة للحرب النفسية التى يشنها العدو والقيام بالدعاية المضادة.

١٢ – العمل على رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة.

١٣ – ضرورة مراعاة آداب الإسلام فى الحرب، وهى:

(أ) إعلان الحرب على العدو. ويتمثل فى ثلاث (إما الإسلام. وإما الجزية. وإما القتال).

(ب) لا يجوز للمسلمين التمثيل بقتلى العدو.

(جـ) لا يجوز للمسلمين ان يبدءوا بالقتال قبل توجيه إعلان الحرب.

(د) لا يجوز لهم قتل من لا يقاتل من الأعداء وخاصة الضعاف والمرأة والصبى والعالم.

(هـ) متى قدر على العدو فإنه لا يجوز لهم حرقه.

(و) لا يجوز إتلاف حيوانات العدو ولازرعه ولاثماره إلا للضرورة.

(ز) من طلب الأمان من العدو ليعرف أحكام الإسلام وجب إعطاؤه الأمان.

(ح) يجب الوفاء بتأمين المحارب.

(ط) لا يفرق فى الأسرى بين والد وولده. ولا بين أخ وأخيه.

هذا ويعامل أسرى العدو كما يلى:

(أ) الرأفة بهم ومعاملتهم معاملة طيبة.

(ب) لا يجوز قتلهم بمعرفة المقاتلين. وإنما يفوض أمرهم لرئيس الدولة ليتخذ ما يراه مناسباً من قرارات بشأنهم إما بالقتل أو الفداء أو تركهم منّا عليهم.

(جـ) لا يفرق بين والدة وولدها من السبايا.

(د) الأسرى من النساء والأطفال لا يقتلون وإنما يسترقون.

لقد تفوق الإسلام بتوجيهاته هذه على كل الشرائع. فلقد صان للإنسان كرامته ولو كان وثنياً. لأنه دين رحمة وسلام وعدالة. وليس دين غلظة وقهر وظلم.

الثانى: الذميون: أو أهل الذمة. وهم غير المسلمين ممن يقيمون فى الدولة الإسلامية إقامة دائمة. وقد تعاهدوا مع المسلمين على ذلك. فهم من رعايا الدولة. لهم ما للمسلمين من الحقوق وعليهم ما على المسلمين من الواجبات إلا فى بعض الأمور التى استثناها الشرع الشريف كمسائل العقيدة والزواج والطلاق ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

فأهل الذمة معدودون من رعايا الدولة الإسلامية بحكم عقد الذمة الذى عقدوه مع المسلمين. وهذا العقد مكون من حقوق وواجبات يجب أن يلتزم بها الطرفان وهو عقد أبدى دائم وليس عقداً مؤقتاً يسرى على من عقدوه مع المسلمين وعلى ذرياتهم من بعدهم.

ويشترط فى عقد الذمة لكى يكون عقداً صحيحاً أن يتوفر له ما يلى[١]:

(أ) أن يكون رئيس الدولة أو من ينيبه هو الذى يتولى هذا العقد وهذا الشرط متفق عليه من علماء المسلمين.

(ب) أن يذكر فى العقد التزام الذميين بدفع الجزية وهى مقدار قليل من

---

(١) بتصرف من كتاب: الحقوق والواجبات ص ١٣٣، ١٣٤.

المال يؤخذ منهم مرة فى العام مساهمة فى الإنفاق على مصالح الدولة . وأقل هذه الجزية دينار على كل واحد مرة فى كل عام ولا تجب على امرأة ولا رقيق ولا صبى ولا مجنون .

(جـ) أن يلتزموا بالانقياد لكل حكم من أحكام الإسلام من غير العبادات ونحوها بما لا يرون حله كالزنا والسرقة - كونها تضر بالأفراد والجماعات مع كونها محرمة فى كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية .

هذا وقد شدد الإسلام فى الوصية بأهل الذمة . وتوعد كل من يتعرض لهم بأى نوع من الأذى بسخط الله عز وجل . وسخط رسوله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : « من آذى ذميا فقد آذانى . ومن آذانى فقد أذى الله »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « من آذى ذميا فأنا خصمه . ومن كنت خصمه . خصمته يوم القيامة »[2] .

وقال أيضاً : « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا . أو كلفه فوق طاقته . أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه . فأنا حجيجه يوم القيامة »[3] .

وبناء على هذا الوعيد وعملا بتوجيهات الرسول ﷺ فى معاملة أهل الذمة سار أصحاب النبى ﷺ والتابعون لهم من بعدهم .

قال شهاب الدين القرافى المالكى رحمه الله تعالى :[4] « إن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا . لأنهم فى جوارنا وذمتنا وذمة الله تعالى ، وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم أو أى نوع من أنواع الأذية . أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله . وذمة رسوله ﷺ . وذمة دين الإسلام » .

---

(١) الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.
(٢) الخطيب بإسناد حسن.
(٣) أبو داود.
(٤) الحلال والحرام ص ٣١٤ .

وقال الإمام ابن حزم الظاهرى رحمه الله تعالى[1]: «إن من كان فى الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه. وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح. ونموت دون ذلك صونا لمن هو فى ذمة الله تعالى. وذمة رسوله ﷺ. فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة...».

وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى الشافعى[2] رحمه الله تعالى: «ويجب على الإمام الذب عنهم ومنع من يقصدهم من المسلمين والكفار واستنقاذ من أسر منهم. واسترجاع ما أخذ من أموالهم سواء كانوا مع المسلمين أو كانوا منفردين عنهم فى بلدلهم. لأنهم بذلوا الجزية لحفظهم وحفظ أموالهم. فإن لم يدفع عنهم حتى مضى حول لم تجب الجزية عليهم لأن الجزية للحفظ. وذلك لم يوجد فلم يجب ما فى مقابلته كما لا تجب الأجرة إذا لم يوجد التمكين من المنفعة. وإن أخذ منهم خمر أو خنزير لم يجب استرجاعه لأنه يحرم فلا يجوز اقتناؤه فى الشرع. فلم تجب المطالبة به».

وقال الله عز وجل فى القرآن الكريم مؤكداً على هذه المعانى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

هذا ويترتب على عقد أهل الذمة ما يلى:

١ – حريتهم فى عقيدتهم وعبادتهم.

٢ – لا يجوز الاعتداء عليهم أو على أهليهم أو اغتصاب أموالهم وما يملكون.

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٢) المهذب ٢/٢٥٥.

٣ – يجب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدى عليهم من المسلمين أو من المحاربين. ورد ما سلبوه منهم.

٤ – يجوز الزواج من الكتابيات (اليهود والنصارى).

٥ – حل طعامهم وشرابهم إلا ما حرمه الشرع الشريف ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة : ٥].

٦ – يجب عليهم الخضوع لأحكام الشريعة الإسلامية فى ضمان الأنفس والأعراض والأموال. وأن تقام عليهم الحدود الشرعية فيما يجب فيه الحد وكذا القصاص والتعزير.

٧ – جواز زيارتهم وعيادة مرضاهم وعزائهم فى موتاهم. فقد زار رسول الله ﷺ شاباً يهودياً ودعاه فى زيارته له إلى الإسلام. فأمره أبوه بأن يسلم ويتبع رسول الله ﷺ.

٨ – إحسان معاملتهم. فلا يصابوا بأذى.

٩ – يجب عليهم دفع الجزية كما نص عليه فى شرع الله عز وجل وذلك مقابل حمايتهم والدفاع عنهم.

١٠ – وإن كان أهل الذمة فى دار الإسلام أخذوا بلبس الغيار وشد الزنار. والغيار أن يكون فيما يظهر من ثيابهم ثوب يخالف لونه لون ثيابهم كالأزرق والأصفر ونحوهما.

والزنار أن يشدوا فى أوساطهم خيطاً غليظاً فوق الثياب وإن لبسوا القلانس جعلوا فيها خرقا ليتميزوا عن قلانس المسلمين.

١١ – ولا يبدأون بالسلام ويلجؤن إلى أضيق الطرق لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لقيتم المشركين فى طريق فلا تبدءوهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها» ولا يصدرون فى المجالس لما روى عبد الرحمن

ابن غنم فى كتاب عمر: وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس. ولأن فى تصديرهم فى المجالس إعزازا لهم وتسوية بينهم وبين المسلمين فى الإكرام فلم يجز ذلك.

١٢ – ويمنعون من إحداث بناء يعلو بناء جيرانهم من المسلمين لقوله ﷺ «الإسلام يعلو ولا يعلى».

١٣ – ويمنعون من إظهار الخمر والخنزير وضرب النواقيس والجهر بالتوراة والإنجيل وإظهار الصليب وإظهار أعيادهم ورفع الصوت على موتاهم.

١٤ – ويمنعون من إحداث الكنائس والبيع والصوامع فى بلاد المسلمين. لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه كنيسة»(١).

فهذا ما لأهل الذمة من حقوق وما عليهم من واجبات. وهم لم يجدوا فى رحاب أى أمة أو دين ما وجدوه فى رحاب الإسلام والمسلمين من الخير والرحمة بهم ورعاية مصالحهم والمحافظة على حقوقهم وسلامتهم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾.

الثالث: **المستأمنون**: والمستأمن هو شخص دخل ديار المسلمين لأمر ما. وهو لا يريد الإقامة بها إقامة دائمة.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى(٢): شخص دخل الديار الإسلامية على غير نية الإقامة فيها، بل يقيم مدة معلومة بعقد يسمى عقد الأمان. أو بمجرد منح الإقامة. وذلك يكون يقصد الاتجار أو السياحة أو الزيارة.

---

(١) البنود من ١٠ إلى ١٤ نقلاً عن كتاب المهذب للشيرازى: ٢/٢٥٤، ٢٥٥ بتصرف وليس العمل على ذلك ببلاد المسلمين فى العصور المتأخرة. ولم يكن ذلك كله يطبق عليهم فى العصور الأولى للإسلام.

(٢) العلاقات الدولية فى الإسلام (بحث ألقى فى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية).

وإقامته تكون محدودة بمدة قابلة للتجديد . فإن أخذت إقامته صفة الدوام تحول إلى ذمي . أهـ.

وكذلك إذا طلب أحد المحاربين إعطاءه الأمان حتى يسمى كلام الله ويعرف أحكام الإسلام . فإنه يعطى الأمان من أجل ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .

وكذلك يعطى الأمان لرسل الأعداء إلينا ولسفراء الدول وقناصلها . وكل من يطلب الأمان فإنهم يعطونه . قال رسول الله ﷺ لرسولى مسيلمة الكذاب : « لو كنت قاتلا رسولاً لقتلتكما »(١) . لأنهما كانا يحملان رسالة كذب وافتراء ويشترط فى عقد الأمان ما يلى :

١ – أن يكون من أعطى الأمان مسلما رجلاً كان أو امرأة .

٢ – أن يكون مكلفاً . أى بالغاً عاقلاً . فلا يصح من صبى أو مجنون .

٣ – أن يكون مختاراً فلا يصح من مكره .

٤ – أن يكون العدو المعطى لهم الأمان معروفاً ومحصوراً .

٥ – أن يكون من أعطى له الأمان عالماً بهذا الأمان .

٦ – أن لا يكون عقد الأمان ضاراً بالمسلمين . فالجاسوس والطلائع التى يبعث بها العدو . لا أمان لهم . وكذا كل ما من شأنه العمل على بث الفرقة وروح الهزيمة والمشاحنات والمنازعات بين المسلمين من أصحاب الفكر والأيدلوجيات الخاصة فكل هؤلاء لا أمان لهم . ولا يجب أن يعطوه . لحدوث الضرر بالمسلمين منهم، هذا والمستأمن يخضع لنظام الإسلام ويجرى عليه ما يجرى على المسلمين خلا عقيدته وزواجه وطلاقه . وإذا أراد البقاء ببلاد المسلمين على الدوام بدل عقد الأمان بعقد أهل الذمة .

---

(١) نيل الأوطار : ٨/ ٣٢ .

الرابع - الدول غير المسلمة

إن الأساس فى العلاقات الدولية بين المسلمين وسائر الدول غير المسلمة أنها تقوم على التوازن فى العلاقة نشراً للسلام العالمى. وإحياء للتعاون الدولى فى مجالاته المختلفة. دون النظر إلى الدين أو الجنس أو اللغة أو المكان.

فهى علاقة تقوم على الندية والمساواة. وتحكمها القواعد والمبادىء التى يتفق عليها الطرفان بشرط أن لا يتعارض ذلك مع عقيدة المسلمين وأحكام شريعتهم وأن لا يُظْلَم المسلمون أو يستضعفوا. ولا يمنع الإسلام المسلمين من الاشتراك فى المنظمات الدولية ويخطىء كثيراً من يظن أن الإسلام دين حرب وعدوان وسفك للدماء وقتل للأرواح. أو أن الإسلام يفرض حصاراً ويضع أسواراً حول المسلمين ليعزلهم عن باقى البشر. أو أنه يدعو المسلمين للصراع مع غيرهم. من أصحاب الأديان والعقائد المختلفة – ولا يقول بهذا إلا كل حاقد على الإسلام أو جاهل بأحكام شريعته فالعكس هو الصحيح. لأن الإسلام يدعو إلى السلام بين المسلمين وغير المسلمين وخاصة مع أهل الكتاب من أصحاب الأديان السماوية السابقة على الإسلام من اليهود والنصارى على وجه الخصوص.

قال الله تعالى: ﴿ **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ** ﴾.

وقال عز وجل: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾.

وروى فى الحديث الشريف: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بأخى عيسى ليس بيني وبينه نبى».

إن الإسلام يبيح للمسلمين ويجوّز لهم أن يعقدوا الاتفاقات والمعاهدات الدولية مع الدول غير المسلمين. وأن يبيعوا لهم ويشتروا منهم ما شاءوا ما لم يكن محرماً ، ولكنا نقرأ فى تاريخ الإسلام أن غير المسلمين كثيراً ما يظهرون ما تخفيه صدورهم من ألوان الحقد والعداوة لأمة الإسلام وخير دليل على ذلك هو الحروب الصليبية والاحتلال والاستعمارى لبلاد المسلمين الذي خلف من ورائه وارثه الذى محل رعايته واهتمامه فى الدفاع عنه. إنه ذلك الاستعمار الصهيونى لأرض المقدسات الدينية فى فلسطين الجريحة.

فالعلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم هى علاقة السلم والأمان والاحترام المتبادل، أما إذا وقع على الأمة الإسلامية العدوان من أى دولة أخرى فقد تبدلت العلاقة لتكون علاقة حرب وليس علاقة سلم كما سبق بيانه. وواجب على المسلمين أن يردوا العدوان وإلا كانوا مقصرين فى حق عقيدتهم وأمتهم.

وبعد : هذا هو موقف الإسلام فى تحديد العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين – كما ذكرنا – وهذا إن دل على شيء فإنه إنما يدل على سماحة الإسلام وعظمته وعالميته وأنه دين البشر جميعاً وهكذا يجب أن يكون إن هم فكروا فى هذا الأمر بحكمة وتدبر.

* * *

الإسلام دين السلام

بنى الإسلام سياسيته الإصلاحية فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض. وفيما بينهم وبين غيرهم من الأمم المختلفة على السلم. لأنه أساس العلاقة الأصلية بين الناس من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

فحالة السلم هى التى تهيىء للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة وهو بهذا الأصل لا يطلب من غير المسلمين إلا أن يكفوا شرهم عن دعوته وأهله وأن لا يثيروا عليه الفتن والمشاكل. ويرفض الإسلام أن يتخذ المسلمون الإكراه طريقاً ومنهجاً للدعوة إليه ونشر مبادئه وتعاليمه. يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس: ٩٩].

ويقرر الإسلام أن غير المسلمين إذا احتفظوا بحالة السلم. فهم وأمة الإسلام فى نظر الشريعة الإسلامية. إخوان فى الإنسانية. ويجب أن يتعاونوا على خيرها العام. ولكل دينه. ويدعوا المسلمون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة. ولكل حرية العقيدة ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾.

فلا يجوز للمسلم أن يكره أحدا على الدخول فى الإسلام فمن شاء أن يؤمن ومن شاء أن يكفر أما إذا امتدت يد العدو بالعدوان. فهنا يأذن الإسلام لأتباعه أن يردوا العدوان بالعدوان إقراراً للسلم وإقامة للعدل ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وعلى المسلمين أن يقاتلوا من حمل السلاح فقط ومن أثار الفتنة. أما غيرهم ممن لم يقاتل أو لم يثر الفتنة والضعفاء والعجزة والعباد والنساء والأطفال فهؤلاء لا يقاتلون، إن الحرب فى الإسلام ليست هى القاعدة. وإنما هى الاستثناء من القاعدة، فالحرب إذا بدأها العدو جاهده المسلمون لرد عدوانه ضرورة. والضرورة تقدر بقدر أسبابها وعقوبة تزول بزوال الجريمة التى أوجبتها.

لذا يحث الإسلام على السلم فى ظروف وملابسات توائمه . فإذا تبدلت هذه الظروف فإنه يأمر بالقتال حفاظاً على السلام وعودة إليه . وإذا جنح العدو للسلم وجب وقف القتال ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٦١] .

﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾ .

﴿ **فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا** ﴾ .

وشريعة القتال فى الإسلام إنما شرعت لإقامة العدل والسلم بين الناس، ولذا يقرر الإسلام هذه الأمور الهامة . وهى[١] .

أولاً : أن الأصل فى العلاقة الإنسانية هو : السلم والتعاون .

ثانياً : أن الحرب ليست إلا علاجاً لشذوذ لم تنفع فيه الحكمة ولا الموعظة الحسنة .

ثالثاً : أن الحرب إذا وقعت كان لها حكم الضروريات . وتقدر بقدرها دون بغى ولا عدوان .

رابعاً : أن غير المحاربين والمدبرين للحروب . لا ينالون فيها بسوء .

خامساً : يسارع إلى وقف الحرب تلبية لرغبة السلم متى جنح أحد الجانبين إليها .

سادساً : يعامل أسرى الحرب بالبر والإحسان إلى أن يطلق سراحهم بالمن أو الفداء .

يقول الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى : تحت عنوان « رأفة الإسلام فى الحرب » : الإسلام يحذر أولاً : أن تكون الحرب إذا وقعت حرب تنكيل أو تخريب . فلا يبيح قتل من لا يقاتل من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة : ٤٥٤ .

والمدنيين. والمحفوظ من وصايا الرسول ﷺ في ذلك «لا تقتلوا الذرية في الحرب» فقيل له: أليسوا أولاد المشركين؟ فقال: «أو ليس خياركم أولاد المشركين!!».

ولا يبيح ثانياً: الدخول في الحرب إلا بعد إعلان العدو في مدة تفي لوصول خبرها إليهم.

ولا يبيح ثالثاً: إساءة معاملة الأسرى ولا التنكيل بهم. فضلاً عن قتلهم وقد وضع في معاملتهم قاعدة إنسانية فاضلة ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] وجعل إطعامهم من صفات الأبرار المقربين إلى الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

ثم هو رابعاً: لا يرى توقف إنهاء الحرب على أن يسلم المحاربون. وحسبه أن يكفوا شرهم. وأن يتعهدوا بوقف الشر. وينزل معهم في المعاهدات على ما يحفظ الحقوق ويقي الناس من الطغيان والفتن.

هذه شريعة الإسلام في الجهاد. وضع دستورها كتابه. وطبقها بالعمل رسوله وخلفاؤه من بعده[١]. أ هـ.

فإذا كانت هذه توجيهات الإسلام في معاملة غير المسلمين في حالتي السلم والحرب فلماذا يتهم الغرب الإسلام بأنه دين شرٍّ، نُشر بحد السيف.

إن الإسلام ليس دين شر لأنه دين الرحمة. ورحمته عامة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وفي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

لقد نشر الإسلام في البلاد التي دخلها وانضمت تحت لوائه. الرحمة وأقام العدل وبعث الأمن والأمان والطمأنينة. وعرفهم برب العالمين. فعبدوه واتقوه رغبة وطواعية بعدما أدركوا وفهموا عظمة الإسلام وأسرار تشريعه وأحكامه. لأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: ٤٥٤، ٤٥٥.

المهادنة. والهدنة. والموادعة. والمسالمة والمعاهدة. كلها بمعنى واحد ومعناها فى اصطلاح فقهاء المسلمين: (عقد يتضمن مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة بعوض وبغير عوض».

والمعاهدة فى عرف القانون الدولى العام: عرفها البعض بأنها اتفاق يكون أطرافه الدول أو غيرها من أشخاص القانون الدولى ممن يملكون أهلية إبرام المعاهدات وعرفها البعض الآخر بأنها: اتفاق يعقد بين دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات قانونية ودولية وتحديد القواعد التى تخضع لها.

ولما كانت اتفاقية (فيينا) سنة ١٩٦٩م لقانون المعاهدات قد قصرت معنى المعاهدة على الاتفاقات التى تعقد بين الدول. فإن هذا يفيد أن المعاهدة لا يصح إطلاقها – فى القانون الدولى العام – على العقود التى تتم بين الوحدات التى لا تتمتع بالشخصية الدولية. كالاتفاق الذى يعقد بين قبيلة وقبيلة. وكالاتفاق الذى يتم بين الدول والأقاليم التى لا تتمتع بالحكم الذاتى. وكالاتفاق الذى يتم بين الدول والأفراد العاديين.

وهنا يختلف الفقه الإسلامى مع الفقه القانونى. إذ أن المعاهدة بمعناها فى الفقه الإسلامى يصح إطلاقها على كل اتفاق بين الدولة الإسلامية وأى مجموعة من أهل الحرب سواء أكان الذى اتفق مع الدولة الإسلامية دولة أخرى من أهل الحرب أو قبيلة منهم أو إقليماً كذلك غير أنه إذا كان القانون الدولى العام لا يسمى الاتفاق الذى يتم بين الدولة والأفراد العاديين معاهدة. فإن ذلك يتفق مع الفقه الإسلامى. فالفقه الإسلامى كذلك لا يعتبر ذلك معاهدة. وإنما يعتبر ذلك عقد أمان[١].

---

(١) الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الإسلام: ٢٣٤ – ٢٣٥.

وإذا كان الإسلام يقرر أن السلم هو الأصل فى العلاقة بين الناس. وأن الحرب ليست إلا علاجاً لشذوذ لم تنفع فيه الحكمة ولا الموعظة الحسنة. وأنها إذا وقعت وجنح أحد الطرفين إلى السلم وجبت تلبيته حقنا للدماء ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ** ﴾ [الأنفال: ٦١ ، ٦٢].

فالإسلام يبيح للمسلمين الحق فى أن يعقدوا ما شاءوا من المعاهدات والاتفاقات الدولية بينهم وبين غيرهم من الدول الأخرى إبقاء على السلم الأصلى أو رجوعاً إليه بوقف الحرب وقفاً مؤقتاً أو دائماً، وكذلك يجعل لهم الحق فى إنشاء المعاهدات مع الآخرين بقصد التحالف الحربى والدفاع المشترك ضد عدو مشترك لكلا طرفى المعاهدة.

كما يجعل الإسلام للمسلمين الحق فى أن يعقدوا المعاهدات والاتفاقيات الاقتصادية والسياسية والثقافية والتعليمية بين سائر الدول الإسلامية وغير الإسلامية، مؤقتة ودائمة.

حكم المعاهدة:

الإسلام يبيح للمسلمين أن يفعلوا كل ما يحقق المصلحة العامة والمصالح الفردية، وتحقيق كل ما فيه نفع للمسلمين. بشرط أن لا يتعارض ذلك مع أحكام الشريعة الإسلامية، يقول الدكتور محمد رأفت عثمان أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر: «المعاهدة جائزة فى الإسلام إذا ترتب عليها مصلحة المسلمين. كأن يكونوا فى حالة ضعف ويستطيعوا خلال مدة المعاهدة أن يقووا أنفسهم. أو أن يكون هناك أمل فى إسلام الأعداء لو أوقفنا الحرب. أو غير ذلك من المصالح. وعلى ذلك فلا تجوز المعاهدة إذا لم تكن محققة لمصلحة المسلمين، وقد تكون واجبة كما إذا ترتب على عدمها لحوق ضرر بالمسلمين لا يمكن تداركه»(١).

---

(١) الحقوق والواجبات: ٢٣٥، ٢٣٦.

وقد دل على جواز إبراهم المعاهدات القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الأمة قال الله تعالى: ﴿ **براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتُم من المُشركين** ﴾ [التوبة: ١]، وقال الله تعالى: ﴿ **وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾.

وفى السنة: ما ثبت من أن الرسول ﷺ قد عقد معاهدة مع اليهود فور دخوله المدينة المنورة تضمنتها وثيقة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

وكذلك وقع النبى ﷺ صلح الحديبية مع سهيل بن عمرو مندوب أهل مكة وكذلك معاهدة الصلح الدائم مع نصارى نجران. الذين اختاروا أن يخضعوا لحكم الإسلام ويعيشوا فى جواره آمنين. وصلح بيت المقدس الذى أقامه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وكذلك أجمع علماء الأمة على جواز عقد المعاهدات. وهو ما عليه العمل بالدول الإسلامية إلى يومنا.

شروط المعاهدة:

يشترط لصحة المعاهدة أمور يجب توفرها حتى تكون المعاهدة صحيحة فى نظر الشريعة الإسلامية وهذه الشروط هى:-

أولاً: أن تكون هناك مصلحة للمسلمين تترتب على هذه المعاهدة.

ثانياً: أن يتولى عقدها رئيس الدولة أو نائبه. أو حاكم الإقليم الذى يجرى المعاهدة.

ثالثاً: يرى الشافعية والحنابلة أنه لابد لصحة عقد المعاهدة من تحديد مدة العمل بها. فإذا لم يحدد لها مدة. فهى غير جائزة. لأن هذا يؤدى إلى ترك الجهاد بالكلية. كما ذكر فى المغنى ونهاية المحتاج والوجيز.

رابعاً: ألا تتنافى المعاهدة مع ما هو واجب من عزة الإسلام. فإذا كانت

منافية لعزة الإسلام فإنها غير صحيحة . وذلك إذا اشترطت أموراً من شأنها الإضرار بالمسلمين أو إهانة بعضهم . كما إذا اشترط فيها منع فك أسرى المسلمين الذين أسرهم العدو فى الحرب أو اشترط فى المعاهدة ترك ما أستولوا عليه من المسلمين أو من الذميين الذى يعيشون فى رعاية الدولة المسلمة . فمثل هذا لا يجوز اشتراطه .

هذا : وقد اختلف الفقهاء فيما إذا اشترط فى المعاهدة أن نرد عليهم من جاءنا مسلما منهم على رأيين :

(الأول) : يرى الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه يجب الوفاء به فى الرجال دون النساء مثل ما فعل النبى ﷺ فى صلح الحديبية .

أما النساء : فإنه لا يجوز ردهن إذا جئن مسلمات، قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ** ﴾ [الممتحنة : ١٠]

(الثانى) : يرى الإمام مالك والحنفية . بطلان هذا الشرط . فلا يجب الوفاء به ويستدلون بالآية السابقة أيضاً .

خامساً : الا تناقض المعاهدة مبادىء الإسلام وتعاليمه . روى أن رسول الله ﷺ قال : « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » .

فالإسلام لا يقر معاهدة تستباح بها حرمة المسلمين، أو تمكن العدو بالإغارة على جهات إسلامية . أو تضعف من موقف المسلمين بتفريق صفوفهم وتمزيق وحدتهم .

سادساً : أن تكون المعاهدة - جملة وتفصيلاً - مبنية على التراضى بين الطرفين . فإذا استخدم أحد الطرفين القهر والإكراه فإنها لا تصح ولا يجوز العمل بها .

سابعاً : أن تكون واضحة الأغراض والمعالم محددة الأهداف وألا تحتمل

نصوصاً تقبل التأويل فيذهب كل طرف إلى المعنى الذى يريده. بل يجب أن تحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يجعل مجالاً للتأويل والتخريج واللعب بالألفاظ. فكم من معاهدات دولية وقع بسببها خلاف كبير فى مجال التنفيذ نتيجة الغموض والالتواء وأسلوب اللف والدوران فى صياغة نصوص المعاهدة(١).

فهذه الأمور يجب أن تتوفر عند إبرام المعاهدة لكى تكون صحيحة وتقرها أحكام الشريعة وأما ما جاء مخالفاً لهذه الشروط. فإن الإسلام يأباه ويرفضه ولا يجب العمل به هذا: ويجب الوفاء بالمعاهدة إذا تم التصديق عليها من الطرفين.

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

وقال عز وجل: ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ [التوبة: ٤].

كما يجب أن يأمن طرفا المعاهدة على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. فيجب على رئيس الدولة المسلمة أن يعمل على حماية الوفد المفاوض للطرف الآخر وعليه ضمان ما تلف من أموالهم وحاجياتهم إذا اعتدى عليهم أحد المسلمين.

أما إذا خاف المسلمون خيانتهم بأن ظهر منهم ما يدل على نبذهم العهد ومخالفتهم لشروط المعاهدة فإنه يجب على رئيس الدولة المسلمة أن يوجه إليهم إنذارا يعلنهم فيه الحرب.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

أى أعلمهم بنقض عهدهم والخروج على أحكام المعاهدة.

---

(١) راجع: الإسلام عقيدة وشريعة: ٤٥٦، ٤٥٧ والحقوق الواجبات: ٢٣٦، ٢٣٧ وفقه السيرة: ٢٥٥.

توقف العمل بأحكام المعاهدة وإنهائها :

تنتهى المعاهدة بأحد أمور ثلاثة هى :

الأول : أن يعلن إنهاءها وعدم الالتزام بأحكامها أحد الطرفين .

الثانى : انتهاء المدة المحددة للعمل بالمعاهدة .

الثالث : أن يظهر من الطرف الآخر عدم احترام ما تم الاتفاق عليه فى المعاهدة .

كما إذا خرج جماعة منهم بإذن رئيس دولتهم . فقطعوا الطريق على المسلمين فى دار الإسلام فما دام رئيس الدولة قد أذن لهم فى ذلك . فهو قد نبذ العهد الذى بيننا وبينهم، فإذا تحققت هذه الأمور كلها أو بعضها . فقد أنهيت المعاهدة وتوقف العمل بأحكامها ولما قسمت دولة الإسلام إلى دول وإمارات . وأصبحت كل دولة منها عضوا فى الأسرة الدولية . وقد رضى العالم كله بإنشاء هيئة دولية (هيئة الأمم المتحدة) ومؤسساتها يحتكم إليها العالم كله فى المنازعات والمشاكل الدولية . وقد أنشىء ما يسمى بالقانون الدولى العام وأصبح هذا القانون يحكم سير العلاقات بين دول العالم كله - مسلمة وغير مسلمة - حيث تشابكت مصالح الدول لدرجة أن أى دولة لا يمكنها أن تستقل بأمورها وتعيش وحدها ولما كانت الدول الإسلامية . تكون جزءاً من هذا العالم فقد لزمها أن تلتزم بأحكام القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة وقرارات مختلف المنظمات الدولية . على أن لا يمس ذلك العقيدة الإسلامية ولا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية . وأن لا يسلب المسلمين حقاً من حقوقهم أو يجعلهم فى موقف ضعف تستباح فيه حرمتهم .

* * *

الفصل الرابع

الإسلام بين جهل أبنائه وكيد أعدائه

إن من الحقائق الثابتة والمسلَّم بها عند المسلمين ما يلى :

١ – أن الإسلام هو دين الله تعالى الذى ختم به الأديان . وأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

٢ – الإسلام هو رسالة من الله تعالى للبشر جميعاً مهما تباعدت بهم الأقطار واختلفت الأمم والأجناس .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

٣ – مصادر الإسلام الأساسية ووثائقه الرسمية هى : القرآن الكريم – السنة النبوية – السيرة النبوية .

٤ – الإسلام علم يحكمه النص من القرآن أو السنة أوهما معا قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

وقال عز وجل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

٥ – الإنسان أخو الإنسان . فهم جميعاً أبناء آدم عليه السلام قال الله

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

٦ - الإسلام دين رحمة وليس دين عدوان وظلم قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٧ - الإسلام دين التسامح وليس دين تعصب وإكراه، قال الله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٨ - الإسلام دين الوسطية ويكره الغلو والتطرف قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وروى أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون. هلك المتنطعون، هلك المتنطعون».

وروى فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما. قال: أُخبر النبى ﷺ. أنى أقول: والله لأصومن النهار. ولأقومن الليل ما عشت.

فقال رسول الله ﷺ: «أنت الذى تقول ذلك؟».

فقلت له: قد قلته بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

قال ﷺ: «فإنك لا تستطيع ذلك. فصم وأفطر. ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام. فإن الحسنة بعشر أمثالها. وذلك مثل صيام الدهر». قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك.

فقال ﷺ: «فصم يوما وأفطر يومين».

قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك.

فقال ﷺ: «فصم يوماً وأفطر يوماً. فذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام».

فقلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك.

فقال ﷺ: «لا أفضل من ذلك».

فكان عبد الله بن عمرو يقول بعدما تقدمت به السن: ياليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ.

فهذه الأمور الثمانية من الحقائق الثابتة فى الإسلام. مما لا يختلف عليه إثنان. وهى أمور يتميز بها الإسلام عما عداه من الأديان السماوية والوضعية وأضف إليها ما تتمتع به الشريعة الإسلامية من السهولة واليسر والعدل والرحمة والتكافل الاجتماعى. والحث على مكارم الأخلاق وحميد الصفات وخصوصية المرأة بتشريع يحافظ على كرامتها وعفتها ويرفع من قدرها. ويؤكد لها دورها فى الحياة قدر وسعها. ويعدها بالثواب والنعيم المقيم فى جنة الخلد إن هى أدت رسالتها كما ينبغى وهى ملتزمة بتنفيذ أحكام الله عز وجل.

إن هذا الإسلام بخصائصه ومميزاته يعيش اليوم مظلوماً من أهله ومن خصومه فى عالم انقلبت فيه الموازين فى ظل ما يسمى « العولمة » .

ففى الثلاثين عاماً الأخيرة من القرن العشرين وفى بداية القرن الحادى والعشرين يواجه الإسلام تحديات خطيرة من الداخل والخارج .

أما فى الداخل فقد روجت أفكار وشعارات بين شباب الأمة الإسلامية .

وظهرت طوائف وجماعات تعتنق أفكاراً ومبادىء فيها غلو وانحراف . ساعد على ظهورها وانتشارها أمور خمسة هى :

أولاً : قصور وتقصير فى مجال الدعوة الإسلامية فى تلك الفترة .

ثانياً : عدم اهتمام المثقفين ورجال الدين بآرائهم واعتبارها أفكاراً صبيانية .

ثالثاً : الأعمال الإعلامية التى تتعارض مع أحكام الدين والقيم والأخلاق .

رابعاً : إحلال رجال الأمن بدل المثقفين وعلماء الدين . ومعلوم أن مهمة رجل الأمن هو حماية المجتمع من الخارجين عليه . وليس من مهامه إجراء الحوارات الفكرية مع ذوى الأفكار والآراء المختلفة .

خامساً : تداول هؤلاء فى العالم الإسلامى كله لتلك الكتيبات وهذه الأشرطة المسجلة التى ترد من هنا أو من هناك والتى تحمل آراء فيها غلو وتطرف أكثرها مقتبس من أقوال الخوارج والشيعة والمعتزلة والآراء الشاذة لبعض من اشتغلوا بالعلم وخالفوا بها جماهير علماء الأمة هذا وتتجلى أهم مظاهر مبادئهم فيما يلى :

أولاً : التمسك بظاهر النص دون الرجوع إلى كتب الأصول والتفسير وشروح الحديث والاعتماد على فهمهم الخاص .

ثانياً : رفض فقه الأئمة الأربعة . والقول بأن اتباعهم شرك لأنه تشريع مع الله تعالى .

ثالثاً: التعصب لآرائهم والهجوم على رأى مخالفيهم.

رابعاً: محاولة تشويه ونقد العلماء القدامى والمحدثين وسبهم.

خامساً: التعرض للأديان الأخرى (أهل الكتاب) بالنقد والتجريح والكفر والإلحاد.

سادساً: اتهام المتصوفة بالزندقة والإلحاد. وما علموا أن الثقافة الصوفية هى أقدر الثقافات على مواجهة العولمة وسياسة القوة الغاشمة.

سابعاً: البعد عن مجالس العلماء والدعاة.

ثامناً: الشك فى إيمان الآخرين وسوء الظن بهم واتهام بعض الناس بالابتداع والبعض الآخر بالشرك.

تاسعاً: قلة العلم والمعرفة بعلوم الإسلام والمصطلحات الأصولية والفقهية.

عاشراً: عدم احترام العقل وتنحيته عن دوره فى فهم مسائل الدين وقضاياه.

حادى عشر: الاعتماد على أسلوب الإثارة والوعيد والقصص الواهى والأخبار الضعيفة والآراء الشاذة والتلفيق بين المسائل.

ثانى عشر: النيل من أولياء الله الصالحين وتجهيل وتكفير زائريهم.

ثالث عشر: عدم الولاء للحكام والقادة وحتى لآبائهم وأمهاتهم.

رابع عشر: التجهم والتكشير فى وجوه الناس.

وقد ترتب على ذلك كله ظهور الإرهاب فى البلاد الإسلامية. والإرهاب ظاهرة عامة فى العالم كله. ولكن الإسلام الصحيح يرفضه لنتائجه الخطيرة حيث لا يتوفر فى وجوده الأمن والأمان والسلام. حيث يظهر القتل للأبرياء – وهو ما وقع فعلا فى كثير من الدول الإسلامية – وقد استباح بعضهم لنفسه حل سرقة المال العام والخاص للاستعانة به فى تنفيذ أعمالهم.

والحق أقول: إن ظهور هذه الطوائف بأفكارهم وآرائهم. وفى مقابلتهم بعض دعاة الدجل والشعوذة ومثيرى المسائل الخلافية وخاصة فى أصول العقيدة فهذا كله تسبب فى وجود فوضى فى ميدان العمل الإسلامى فى شتى بلدان المسلمين والأمر جد خطير وهو يحتاج إلى المقاومة الشعبية - علماء ومفكرين - وليس إلى المقاومة الحكومية.

كما يجب أن تتضامن كل أجهزة التوجيه والإرشاد لكى تبين للناس الفكر الإسلامى المستنير. ولتوضح للناس مبادىء الدين وأحكامه بأسلوب الإسلام الميسر وبمنهج الوسطية العدل. وسوف يستجيب الكثير منهم ويثوبوا إلى رشدهم. لأن الكثيرين منهم ليسوا على علم. وهم يحتاجون للإقناع فقط. وسوف يتحقق ذلك بالقيام بعرض الإسلام عرضاً واعياً وأميناً. وأحكام الإسلام كلها حقائق علمية وليست نظريات. لأن الإسلام وحى من الله لعباده والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فإذا ما تم عرض الإسلام عرضاً صحيحاً على الناس فى الداخل والخارج إلا استجابوا له. وما يعانيه المسلمون اليوم ويشكون منه. هو. تلك الحيرة التى وضعهم فيها أصحاب الدعوات والميول المختلفة. والقصور والتهاون فى أسلوب الدعوة الرسمية.

إن الإسلام فى هذه المرحلة الخطيرة يحتاج إلى دعاة مؤهلين تأهيلاً علمياً سليماً. ويتسمون فى عملهم بالصدق والإخلاص وإنكار الذات حتى يجد المسلمون القدوة التى فقدوها وليس بخاف علينا أن هذه التحديات وتلك الصراعات فى داخل الأمة لها أثرها البالغ فى تعطيل عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية. ثم هى تهدم القيم الأخلاقية والمثل العليا لدى الأفراد والجماعات. فما ساد الجدل والخلاف فى أمة ما إلا توقفت فيها كل سبل وعوامل قيام الحضارة. والحضارات تقاس بقدر تمسك الأمم بقيمها وآداب سلوكها والقدرة على التنمية بكل أنواعها وأشكالها.

فهل تبصر أمتنا عيوبها. فتعالج أمراضها وتقضى على أوجاعها، وتتحرر من سلبياتها. وتعتمد على ربها عز وجل فتعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ. ملتزمة بأحكام الشريعة الإسلامية. تحل حلالها وتحرم حرامها فيكون الخلاص من هذا الوضع المهين لخير أمة أخرجت للناس.

التحديات والأخطار الخارجية:

منذ القضاء على الاحتلال الصليبى وإنهاء تلك الحملات البغيضة التى اتخذت الصليب شعاراً لها للإعلان عن أن تلك الحروب ضد المسلمين إنما هى حروب دينية مقدسة. ولم يكتب الله عز وجل لها النجاح والاستمرار. فقد مكن الله المسلمين من عدوهم فهزموهم فى «حطين» – المعركة الفاصلة – بقيادة صلاح الدين رحمه الله فمنذ القضاء على تلك الحملات. والغرب يكن للمسلمين العداوة والبغضاء ويكره لهم الخير حقداً وحسداً وخوفاً من قوة المسلمين فى اتحاد شعوبهم خلف قيادة واحدة فأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بليل ثم كشر العدو عن أنيابه فى أواخر القرن العشرين وكشف عن خططه وأهدافه ضد المسلمين. وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى. وترجع أهم مظاهر هذا العداء فيما يلى:

أولاً: الخوف من الإسلام:

إن عداء الغرب وكراهيته للإسلام قديم. يدل على ذلك قيام الغرب بإعلان الحرب على الإسلام فى أمرين. هما:

١ – سقوط الأندلس. ٢– الحروب الصليبية.

وقد نجح الغرب فى الأمر الأول وحقق النتائج التى يرجوها وهى سقوط الأندلس وطرد المسلمين منها. ولكنه لم يحقق ما كان يصبوا إليه من الحروب الصليبية وأخذ الغرب يفكر فى استخدام أسلوب جديد يتعامل به مع الإسلام. فنشر فى العالم الإسلامى المبشرين. ثم لحق بهم جماعات المستشرقين. الذين

قاموا بعمل دراسات عديدة لمحاولة النيل من الإسلام بالنقد والتسفيه والتجريح في الإسلام وشريعته. ولكن بعض المستشرقين ممن بحثوا في الإسلام بمنهج البحث السليم. قد أنصفوا الإسلام وأشادوا بعظمته منهم: توماس أرنولد. وإميل درمنغم وإتين دينيه ومستروغ وبرناردشو وغيرهم.

يقول الدكتور نبيل لوقا بباوى[1] يتعرض الإسلام دائماً للهجوم الشديد من قبل أعداء الإسلام وخاصة المستشرقين الذين لا همَّ لهم إلا تشويه صورة الإسلام أمام الغرب المسيحى ومحاولة تمزيقه. وإظهار أن الإسلام هو العدو الأول للحضارة الغربية. وأن الخطر الحقيقى على الحضارة الغربية يأتى من المسلمين، وأن الطاقات الإسلامية الضخمة خطر داهم من الممكن أن ينهى الدور القيادى للغرب فى العالم.

وبعض المستشرقين يردد أن الإسلام انتشر فى العالم أجمع هذا الانتشار من أقصى شواطىء المحيط الهادى إلى أقصى شواطىء المحيط الأطلا نتيكى أى على أكثر من نصف الكرة الأرضية فى مدة قصيرة بالسيف قهراً. ومن خلال الصيحة التى أطلقها المستشرقون أعداء الإسلام بدأ الاستعمار الغربى لكل الدول العربية والإسلامية فى العمل الجاد فى كل الدول التى احتلها على إيقاف تنمية هذه الدول الإسلامية. فنظرة واحدة لكل الدول الإسلامية فى ظل الاحتلال الغربى نجد أن كل مواردها وجهت للدول الاستعمارية. أما الشعوب الإسلامية المحتلة فظلت تعانى من الفقر والجهل من خلال السياسة المتعمدة التى فرضها الاستعمار الغربى على الدول الإسلامية. فنظرة واحدة لأقوال المستشرقين فى كل البلاد الغربية نجد أن مضمونها واحد هو: أن الإسلام هو الخطر القادم على الحضارة الغربية. وأنه انتشر بحد السيف فى كل البلاد التى انضمت إليه فها هو المستشرق لورانس براون يقول: «إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن

---

(١) انتشار الإسلام بحد السيف: ٢٤.

أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير».

وإذا حللنا أقوال المستشرق لورانس براون. نجدها هى السياسة التى يتبعها الغرب وأمريكا مع الدول العربية والإسلامية منذ زمن طويل وهى: الوقوف فى وجه أى محاولة لاتحاد الدول العربية أو اتحاد الدول الإسلامية حتى لا تظهر قوتها فى اتحادها.

ثم يقول: إن المستشرقين أعداء الإسلام هم الذين يشعلون نار الصراع ضد الإسلام فى ذهن الحكام والساسة الغربيين حتى يبنوا سياستهم الخارجية على محاربة الإسلام بصفته الخطر القادم على الحضارة الغربية. أهـ.

ولما قام الاتحاد السوفيتى ودخل الإسلام فى صراع مع الشيوعية. وبذلك أصبح الإسلام طرفاً ثالثاً فى الصراع المحتدم بين الغرب وأمريكا والاتحاد السوفيتى ورأى الغرب وأمريكا أن الصراع بين الإسلام والشيوعية يخدم قضيتهم هادنوا الإسلام إلى أجل. بل إنهم - أمريكا بالذات - كانت تعاون المسلمين فى أفغانستان إبان احتلال السوفيت لها. وهم الذين كانوا يمولون ويساعدون بن لادن وتنظيم القاعدة فى أفغانستان.

يقول الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق[1]:

أثناء الحرب الباردة كان الغرب ما يزال فى حاجة ماسة إلى المعاونة من جانب الإسلام. فى صراعه مع الشيوعية. أو لنكن أكثر واقعية ونقول: كان فى حاجة إلى مهادنة الإسلام فالغرب يعلم علم اليقين أن الإسلام والشيوعية لا يجتمعان ومن هنا فقد كان من المفيد للغرب أن يتعاون مع الإسلام فى هذا

---

(١) هموم الأمة الإسلامية: ٤٠، ٤١.

الصدد[1] ولكن بعد أن انتهت الحرب الباردة وسقطت الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتى السابق فى بداية التسعينيات، لم يعد الغرب فى حاجة إلى الإسلام. فانتهت سياسة التعاون والمهادنة.

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد. بل راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل. إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو. فإذا لم يكن هناك عدو حقيقى. فليتصور عدوا. وكان العدو المتصور هو الإسلام. وانتشرت فى الإعلام الغربى فكرة الخوف من الإسلام. أهـ.

هذا كلام طيب، ولكنى أقول: كيف يبحث الغرب عن عدو بديل للشيوعية. وعدوه التقليدى موجود؟ وهو الإسلام الذى اضطر أن يهادنه لاتحاد الهدف والغاية للإسلام وللغرب. وهو كراهية الشيوعية ومقاومتها. ولما انتهت الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتى. تذكر الغرب عدوه للدور - حسب زعمه - وهو الإسلام وبدأ الحديث فى الغرب عن الأصولية الإسلامية. والإرهاب الإسلامى. والخطر الذى يتهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر والذى هو الإسلام فى زعمهم واختلطت الأوراق وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامى الغربى فى هذا التيار الجارف.

وقد ساعد على شيوع هذا التصور تزايد موجات العنف فى بعض البلاد الإسلامية ومن المفارقات الغريبة أن الغرب نفسه بدأ يوفر الملجأ والملاذ وحرية الحركة لرءوس الإرهاب فى العالم الإسلامى[2].

وكان أعوان الغرب وأذنابهم فى الداخل من المثقفين المبهورين بحضارة

---

(١) ولذلك سمحت أمريكا وأغمضت عينيها عن حرب ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل لكى تنهى الوجود السوفيتى فى المنطقة ولذا كان القرار المصرى بطرد الخبراء السوفيت قبل قيام الحرب.

(٢) المصدر السابق.

الغرب وثقافاته يتعمدون إثارة الشباب من ذوى التوجهات والأفكار الدينية الخاصة فقد كانوا يتهمونهم ويسفهون أقوالهم فى مقالات وكتب. وذلك بدلا من أن يناقشونهم ويبينون لهم المنهج الإسلامى الوسط. ويأخذون بأيديهم لكى يتعرفوا الفهم الصحيح لمبادىء الإسلام وأحكامه وروح التشريع وغاياته. لأن الفكر يقابل بفكر يناقش فى هدوء ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

وروى فى صحيح السنة: قالوا يا رسول الله. فلان شاب يصلى خلفك إلا أنه يأتى بعض الفواحش. فقال: « دعوه فإن صلاته ستمنعه ».

وروى البخارى ومسلم: جاء شاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رخص لى فى الزنا فإنى لا أطيق. فقال له النبى ﷺ: أترضاه لأمك.. أترضاه لأختاك... أترضاه لبنتك... أترضاه لعمتك.. أترضاه لخالتك.. كل تلك الأسئلة والشاب يقول: لا. فيقول له: وكذلك كل الناس لا يرضونه لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم.

فيقول الشاب: يا رسول الله. ادع الله أن يذهبه عنى فيضع الرسول ﷺ يده الشريفة على صدر الشاب ويدعو له فيقول الشاب: لقد قمت من عند رسول الله ﷺ والزنا أبغض شىء إلى.!!

فالفكر – أيا كان شكله – يناقش بهدوء بإقامة الحجة والموعظة الحسنة. ولا يناقش بالسب والشتم وتسفيه الآراء والوعيد بالويل والثبور. فيزداد الطرف الثانى فى عناده ثأراً لكرامته ويشتد تعصبه. اللهم اهدى قومى فإنهم لا يعلمون.

فهذه الصراعات داخل الأمة الإسلامية والتى ظهرت فى أكثر دول العالم الإسلامى ساعدت الغرب فى فهمهم المريض للعالم الإسلامى. ففرض على الأمة الإسلامية نوعاً من الضغط فى مجالات كثيرة وأساسية لكى يبقى المسلمون فى

حالة من الضعف وعدم القدرة على مواجهة الآخرين، ولتظل البلاد الإسلامية سوقا رائجة لمنتجات الغرب وسلعه بكل أنواعها. فالعلم والتكنولوجيا لغير المسلمين، أما المسلمون فلا. لأنهم متخلفون وليست لديهم القدرة على استيعاب ذلك حسب زعمهم.

ثانياً: صراع الحضارات:

يعتقد الغرب أن الحضارة الإسلامية فيها خطورة شديدة على الحضارة الغربية يتحدث بهذا قادتهم ورجال الإعلام فى بلادهم. وهم فى هذا واهمون. لأن الإسلام لا يقيم الصراعات ولا يدعو إلى قيامها، لأن الإسلام هو دين الوحدة الإنسانية « كلكم لآدم. وآدم من تراب. الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ».

وقال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالإسلام ينادى بالوحدة الإنسانية ويدعو إلى تعاون البشر جميعاً فى أمور الحياة لأنه يبغض العنصرية والعصبية « ليس منا من دعا إلى جاهلية، و ليس منا من دعا إلى عصبية ».

(فنظرية الصراع الحتمى للحضارات مرفوضة أساسا من الإسلام الذى يقرر أن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة. وأن العدوان على نفس واحدة يعد عدوانا على البشرية كلها وليس على طائفة معينة أو حضارة بعينها. ومن هنا فإن التصور الإسلامى أوسع دائرة وأرحب أفقاً وأعمق فى إنسانيته من تلك التصورات العنصرية التى تسعى إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات والثقافات)[١].

---

(١) هموم الأمة الإسلامية: ٤٣.

يقول: يوجين روستو مستشار الرئيس السابق (جونسون)[1]: يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب. بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتوما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى. وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب.

وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى. فلسفته ونظامه وعقيدته. وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام. أهـ.

وقد صرح سالازار دكتاتور البرتغال السابق: أن الخطر الحقيقى على حضارتنا. هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حتى يغيروا نظام العالم[2].

وكان من مقررات المؤتمر الأوروبى الذى انعقد فى برلين سنة ١٨٧٨م على هذا الاتجاه ما يلى:

(أ) تحطيم الدولة العثمانية.

(٢) تمزيق البلاد الإسلامية إلى دويلات تقام بينها حدود مصطنعة.

(٣) مساندة وتشجيع المذاهب المناهضة للإسلام.

(٤) دعم الأقليات النصرانية الموجودة فى البلاد الإسلامية واستغلالها فى إثارة الفتن القلاقل[3].

وقد تحقق ذلك فعلا: لقد تحطمت دولة الخلافة وانتهت الخلافة الإسلامية

---

(١) قادة الغرب يقولون: ٢٦.

(٢) انتشار الإسلام بحد السيف: ٢٤.

(٣) احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام: ١٣٠.

وانفصلت عنها كل الدول الإسلامية، وأقيمت تركيا أتاتورك العلمانية. هذا أولاً.

وثانياً: تمزقت البلاد الإسلامية إلى دول ودويلات وإمارات وأقيمت بينها حدود مصطنعة وحدود تجر المشاكل على الدولتين المتجاورتين.

وثالثاً: لقد أقام الاستعمار وساند ودعم المذاهب والعقائد الهدامة كالبابية والبهائية والقاديانية وغيرها فى بلاد المسلمين بقصد إثارة الصراعات والخلافات لإضعاف العقيدة الإسلامية عند المسلمين.

ورابعاً: لقد قاموا بتدعيم ومعاونة الأقليات المسيحية فى البلاد الإسلامية لإثارة الفتن والقلاقل داخل هذه الدول، وتلك أمور معروفة وأحداث الأمس فى بلادنا خير شاهد على ذلك. حفظ الله بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء.

فهذه الأفكار الخبيثة وتلك التوجيهات كانت من وصايا لويس التاسع - الذى أسر بالمنصورة فى الحروب الصليبية - وقد أخذ بها قومه فى أوروبا التى تتوهم أن فى الإسلام خطورة عليها. وما علموا أن الإسلام دين رحمة ومودة وتعاون وتعارف. وأن الناس جميعاً أمامه سواء فى الإنسانية.

ثالثاً: الضغط على الأمة الإسلامية:

إن الغرب بقيادة أمريكا يقومون بالضغط على الدول الإسلامية وذلك بحرمانها من مدِّ يد التعاون الاقتصادى والعلمى المتقدم والعسكرى والسياسى. وفى نفس الوقت تعطى دولاً أخرى الكثير من الدعم مثل إسرائيل ومن على شاكلتها من الدول المعادية للإسلام فهى تحرم الأمة الإسلامية من التقدم العلمى والتكنولوجيا العالية وتحرم بعض الدول الإسلامية من المعونات المادية وتعطى البعض الآخر القليل من المعونات. بينما يعطون إسرائيل بلا حدود. وفى مجال التسليح تمنعه عن بعض الدول وتعطى البعض الآخر من معدات التسليح المتخلفة والتى لا تتمشى مع احتياجات العصر.

كما أن الغرب يحرم المسلمين من المساهمة الحقيقية والفعالة فى المنظمات الدولية ومجلس الأمن فمثلا : العالم الإسلامى بدوله الخمسين والبالغ سكانه خمس سكان الأرض . وليس له مقعد واحد دائم فى مجلس الأمن بينما أوروبا لها أربعة مقاعد دائمة فى مجلس الأمن ودولها لا يتجاوز عددها خمس عشرة دولة . فهل هذا هو العدل الذى يفهمه الغرب وأمريكا وعلى كل حال مجلس الأمن لعبة فى يد أمريكا . قراراته تنفذ على العرب والمسلمين . ولا تنفذ على إسرائيل . وهناك نظام الفيتو وما أدراك ما الفيتو ؟ إنه الكيل بمكيالين .

رابعاً : نشر الانحلال الخلقى وتدمير الأسرة فى المجتمع الإسلامى :

إن نظام الأسرة فى الإسلام نظام محكم . يحافظ على ترابطها وينظم العلاقة بين أفرادها فبين لكل عضو فيها حقوقه وواجباته . لأن الأسرة - فى الإسلام - هي وحدة صغيرة يتكون منها وبها المجتمع الإسلامى والدولة الإسلامية . فالأسرة هى اللبنة لقيام بناء المجتمع .

وقد وضعت الشريعة الإسلامية مبادىء وأحكاما لصيانة الأسرة والحفاظ على كيانها وعفتها وكرامتها .

إن الزواج هو الوسيلة الوحيدة المشروعة لتكوين الأسرة فى نظام الإسلام . فعقد الزواج هو الرباط المقدس بين الرجل والمرأة . ولا يسمح الإسلام بإقامة أى نوع من العلاقة بين الرجل والمرأة لا تقره الشريعة الإسلامية لأنه تعدى على حدود الله تعالى ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه . وقد أذن الإسلام للرجل بتعدد الزوجات بشرطين . هما :

الأول : أن تكون هناك ضرورة شرعية تبيح له ذلك . والضرورة تقدر بقدرها .

الثانى : أن تكون لديه القدرة المادية والصحية والنفسية التى تمكنه من ذلك لكى يستطيع أن يقيم العدل بين زوجاته .

فالتعدد من حسنات الإسلام. بل هو قد أصبح ضرورة فى دول زاد فيها عدد النساء عن عدد الرجال. فهذه المرأة - وما أكثرهن - التى تطالب بمنع تعدد الزوجات. هى امرأة أنانية لأنها بموقفها هذا تحرم بنتها أو بناتها من الزواج. فلأن تكون المرأة شريكة الأخرى فى زوج خير لها من أن تكون بلا زوج. فهل تفهم المرأة ذلك؟ أم أن أنانيتها قد أعمتها عن فهم الحقائق؟

قالت أستاذة جامعية ألمانية: إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو فى إباحة تعدد الزوجات كما هو فى الشريعة الإسلامية[١].

وقال كبير أساقفة انجلترا: إنه لا يجد علاجاً لمنع التحلل الخلقى والإنهيار العائلى اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية. إلا بإباحة تعدد الزوجات. فهو الذى يمنع المرأة من الإنهيار النفسى وارتكابها للجريمة والعار. ويرد إليها الكرامة والعزة حيث لا تكون فراشا لرجل إلا بكلمة الله[٢].

والحق ما شهد به الأعداء. ولكننا نجد فى بلاد المسلمين من ينادون بمنع التعدد. وكيف ينادون بهذا وفى مصر فتيات تجاوزن سن الأربعين ولم يتزوجن. فماذا يفعلن إن لم يكن مؤمنات يخفن الله عز وجل؟

ولقد أباح الإسلام الطلاق وجعله بيد الرجل لأنه ربان السفينة، والطلاق هو حل عقد الزواج بين زوجين استحالت العشرة بينهما وقد استنفدت كل وسائل الإصلاح بينهما وفى المقابل أعطى الإسلام للمرأة أن تخلع نفسها من زوجها إذا كرهت منه شيئاً. على أن ترد له فى مقابل ذلك ما أمهرها به قليلاً كان أو كثيراً.

ودعا الإسلام الرجل والمرأة أن يتقيا الله تعالى فى استخدام هذا الحق. لأن أبغض الحلال عند الله الطلاق، وطلب من كل منهما أن لا يتسرع فى أخذ قراره وخاصة إذا كان هناك أبناء ولكن دعاة الانحلال والانهيار الخلقى ينادون بتقييد

(١، ٢) تعدد الزوجات د. عبد الحليم عويس وزميله: ٢٠، ٢١.

الطلاق وجعله بيد القاضى وما علموا أنهم بهذا يخالفون ما جاء فى الكتاب والسنة. عيب أن ينادى بهذا فى بلاد الإسلام. وهناك فى اليونان صدر مرسوم بإباحة الطلاق عام ١٩٧٦م.

وفى أمريكا وصلت نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ وفى بريطانيا سمحوا بالطلاق إذا طلبه أحد الشريكين، وأثبت أن الآخر قد ارتكب نحوه جرائم معينة.

وفى النرويج والسويد والدنمارك واليابان والصين اعتبروا عقد الزواج كأى عقد آخر يمكن فسخه إذا وافق الطرفان على ذلك.

وفى سنة ١٩٧٦م صدر بفرنسا قانون يبيح الطلاق بشروط يشعر المسلم وهو يقرؤها أنها مستمدة من الإسلام ففيها نفس مراحل الإصلاح التى وضعها الإسلام قبل حدوث الطلاق[١] والإسلام يفرض على المرأة الحجاب ومنع اختلاطها بالأجانب ليحفظ عفتها وكرامتها، ويحفظها من أعين والسنة من لا خلاق لهم.

ولكن دعاة الانحلال وأذناب الغرب المنحل أخلاقيا يعيبون شريعة الإسلام فى هذا الأمر. وبعضهم يفسر نصوص الكتاب والسنة حسب هواه ويزينون للنساء العرى والسفور. ويسمونه مدنية وتحضراً ومسايرة لظروف العصر. حتى أصبحنا نرى الشبان والشابات يسرن فى الشوارع بلباس واحد بلا تميز. حتى أصبحنا لا نعرف الرجل من المرأة – ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لقد ركز الغرب على الأسرة المسلمة وخاصة المرأة أما كانت أو زوجة. لإفساد أخلاقها وانحلالها من الارتباط بدينها وقيم مجتمعها المسلم. ودفعوا بعض الحكومات الإسلامية إلى سن قوانين تعارض أحكام الشريعة الإسلامية فى مجال الأسرة والتربية.

لقد حاول الاستعمار الانجليزى لمصر التدخل فى شئون الأسرة المصرية

---

(١) الإسلام د. احمد شلبى: ٢٢٥.

المسلمة وذلك بمحاولتهم التدخل فى القضاء الشرعى الإسلامى إلا أن الشيخ حسونه النواوى (شيخ الأزهر) وقف أمام هذه المحاولة بكل قوة حتى أقيل من منصبه . ولكنه على أى حال قد نبه المسلمين إلى الخطر الذى يريده أعداء الإسلام بالدين الإسلامى . وفَضَّل هذا الرجل أن يضع دينه فوق رأسه على أن يضعه تحت كرسى منصبه .

ثم أخذ اللورد كرومر يهاجم مبدأ تعدد الزوجات مدعياً أنه السبب فى تأخر المسلمين كما دفع بواحد من أذياله هو (مرقص فهمى) المحامى إلى كتابة كتاب بعنوان (المرأة فى الشرق) وفيه ظهرت خطة أعداء الإسلام سافرة حيث طالب هذا النصرانى بما يلى :

١ – القضاء على الحجاب الإسلامى .

٢ – إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب .

٣ – منع الزواج بأكثر من واحدة .

٤ – تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

٥ – إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وقد سهر على تنفيذ هذه الأغراض عدد من الشخصيات المصرية . منها : الأميرة نازلى التى افتتحت نادياً جمع طائفة من الشخصيات الكبرى منهم : الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول واللقانى ومحمد بيرم وقاسم أمين .

وقد كان هذا النادى بمثابة المركز الأساسى لتعبئة أذناب الإنجليز وتنظيم جهودهم ضد التقاليد الإسلامية .

وبعد خمس سنوات من ظهور كتاب مرقص فهمى . ظهر كتاب آخر بعنوان (تحرير المرأة) كتبه قاسم أمين سنة ١٨٩٩م بإيعاز من الأميرة نازلى وبتشجيع من الشيخ محمد عبده . بل ويقال إن الشيخ محمد عبده هو الذى كتب له هذا الكتاب .

ولقد دعا فيه إلى نبذ كل القيم الإسلامية فى مجال الأسرة ورفض الحجاب والنقاب ودعا إلى العرى والاختلاط، ثم عضد هذا الكتاب بكتاب آخر هو (المرأة الجديدة) الذى سخر فيه من أحكام الإسلام واعتبرها استعباد أو سخر من أحاديث الرسول ﷺ فى منع الاختلاط كما دعا إلى تقييد الطلاق والتعدد.

وقد وقف الحزب الوطنى القديم بزعامة مصطفى كامل ضد هذه الحركة وهاجمها ودعا إلى الالتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية(١).

واستمر دعاة حرية المرأة وهدم الأسرة فى محاولاتهم ولم ييأسوا حتى صار الحال إلى ما هو عليه الآن من العرى والانحلال والتعالى على الرجل. حتى أصبح من يدعو المرأة للاحتشام متهما بالتخلف ووصفه بعداوة المرأة. وصدق رسول الله ﷺ « ما تركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء » وما قام به الانجليز فى مصر فعلوا مثله فى كل بلاد المسلمين التى احتلوها والله أرجو أن يعود الناس إلى الصواب. وأن ينهلوا من شراب بحر الشريعة الإسلامية حتى يعود للأسرة المسلمة حيويتها وسعادتها.

ومثل ما فعلت انجلترا فعل الفرنسيون فى الشام وشمال إفريقيا وشرقها.

وهكذا فعل الغرب بتطبيق ثقافته المنحلة فى مجال الأسرة على العالم الإسلامى حتى صار الحال إلى ما هو عليه الآن.

خامساً : الدعوة إلى تحديد النسل فى الدول الإسلامية :

لماذا تحديد النسل فى الدول الإسلامية؟

إن الغرب وأمريكا يخافون من الكثرة العددية للأمة الإسلامية. كما أنهم يخافون على إسرائيل من الدول المحيطة بها.

---

(١) راجع كتاب : احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام ص ٢١٤ - ٢١٧ د. سعد الدين السيد صالح.

لقد أوهموا هذه الدول أن الكثرة العددية للسكان تؤثر على التنمية وتبتلع أى جهد اقتصادى مهما كان التقدم الاقتصادى لهذه الدول. فرأى قادة هذه الدولة والقائمون على شئونها أن هذا حلاً سهلاً كما أوهمهم الغرب بذلك.

ونحن نسال. لماذا لم توظف القوى البشرية فى هذه الدول لخدمة الأغراض التنموية؟

ولماذا لا نقتحم الصحراء والوديان ونبحث فيها عن مصادر جديدة للاقتصاد والتنمية؟

ولماذا لا تعمل الدول الإسلامية على تطور الإنتاج؟

ولماذا لم تقم إلى الآن السوق الإسلامية المشتركة ليتحقق التكامل الاقتصادى بين دول العالم الإسلامى؟

ولماذا لم تقم الدول الإسلامية بإحضار أبنائها الموزعين فى دول الغرب يخدمون أغراض التنمية بها وكلهم علماء وخبراء أما آن للطائر الغريب أن يعود إلى عشه؟

إن تحديد النسل تحت أى مسمى لن يحل مشاكل الدول الإسلامية باعتراف الخبراء فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية؟

ولكن للغرب رؤياه والتى يعبر عنها المفكر الألمانى (باول شمتز) فيقول فى كتابه: الإسلام قوة الغد « يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيراً كبيراً فى سياسة التعاون بين الأقطار الإسلامية الأمر الذى يؤدى إلى أن يصبح غدا قوة عالمية: الزيادة المطردة فى عدد سكانه وما توصلت إليه الأبحاث من أن فى باطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفى - كما يقول الخبراء - لقيام صناعة تضارع مثيلاتها فى أوروبا. بل سيكون لدى الشرق فائضا من المواد الخام يجعله من أول المناطق المصدرة فى العالم. وهذا - أى الزيادة المطردة فى السكان والمواد الخام - هما مصدر القوة النامية فى العالم الإسلامى » ثم يقول: « تشير ظاهرة نمو

السكان فى أقطار الشرق الإسلامى إلى احتمال وقوع هزة فى ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبية . وسوف تمكن الزيادة فى الانتاج البشرى . الشرق على نقل السلطة فى مدة لا تتجاوز بضعة عقود » .

ثم يشير (شمتز) إلى خطورة القوى البشرية الإسلامية على المواجهة بين المسلمين واليهود، حيث يقارن بين عدد المسلمين وعدد اليهود، فى فلسطين، ثم ينتهى من هذا المقارنة إلى أن الخصوبة البشرية لدى المسلمين أكبر منها لدى اليهود مرتين ونصف وهذا ما يجعل آمال الصهيونية فى فلسطين تتحطم[1] . أهـ.

ومن أجل تحقيق هذا الغرض تقدم أمريكا وغيرها من بلاد أوروبا المعونات المالية والوسائل الطبية العديدة لكثير من الدول الإسلامية وخاصة الدول المحيطة بإسرائيل فكم تقوم هذه الدول بالانفاق لتحديد النسل بها . إنها تنفق مئات الملايين، وكان الأجدى والأفضل لها أن تنفق هذه الملايين فى التنمية الاقتصادية والاجتماعى .

ونحن نسأل ماذا حقق إنفاق هذه الملايين لتحديد النسل . إنه لم يحقق نتائج كان يأمل الغرب حصولها . ولن يتحقق إلا ما قدره الله تعالى أزلا . ولن تستطيع قدرة البشر أن تقف أمام قدرة خالق البشر ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ .

سادساً : العولمة أو الهيمنة :

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى . ظهر الحديث عما يسمى بالنظام العالمى الجديد (العولمة) أو بمعنى آخر (الهيمنة) أى تسود حضارة واحدة بقيمها ومثلها وتحمى الحضارات والثقافات الأخرى . فيسقط نظام التعددية الحضارية

(١) د. سعد الدين صالح. احذوروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام: ٢٢٥ .

المتعارف عليها منذ فجر التاريخ، وهذا النظام العالمى الجديد من أكبر التحديات التى ستواجه العالم الإسلامى بقيمه ومثله وثقافته وحضارته.

وأبدا لن تذوب الحضارة الإسلامية فى أي حضارة أخرى. وستواجه هذا النظام العالمى الجديد بكل مقوماتها. لأن قوة الحضارة الإسلامية قوة ذاتية ولا تستمد العون من أى حضارة أخرى. فلقد استوعبت كل الحضارات وكل الحضارات استفادت منها وسوف يقف الإسلام صامداً أمام أى محاولة لتذويبه فى أي حضارة أخرى أو أى نظام عالمى جديد. فالإسلام على استعداد دائم لأن يشارك ويساهم فى أى نظام جديد يسعى لخير البشرية ورفاهيتها ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن تاريخ الإسلام فى هذا المجال تاريخ مجيد ومشرف. ولم تستطع أية قوة خارجية أن تؤثر فى الإسلام – حضارة وثقافة – اسألوا المغول والتتار والصليبيين والاستعمار. فهل أستطاع أى منهم ان يقضى على الحضارة الإسلامية بقيمها ومثلها. فقد كان الإسلام هو دائماً الظافر المنتصر. فلن تفلح أمريكا بنظامها العالمى الجديد أن تنال من الحضارة الإسلامية وإن غدا لناظره قريب.

سابعاً: خاتمة

يجب على المسلمين فى هذه المرحلة وما بعدها أمرين: هما:

الأول: يجب عليهم أن يستوعبوا تطورات العصر ومتغيرات الحياة، فلابد أن ترتفع أفهامهم إلى مستوى الأحداث. وأن يدركوا جيداً تحديات هذا العصر وما سوف يستجد من تحديات أخرى. فالأحداث فى العالم اليوم وغداً تتطور بسرعة مذهلة فى شتى المجالات. كما يجب عليهم أن يتفهموا لغة أعدائهم.

فإذا تقاعس المسلمون ولم يعيشوا أحداث عالمهم المعاصر ويفهموا أبعادها فلا يلومون إلا أنفسهم.

الثانى: يجب على المسلمين أن يفهموا تعاليم الإسلام وأحكامه فهما

جيداً. قلبا وقالباً لكى يحسنوا استخدامه فى مخاطبة الغرب والشرق. أى أنه لابد أن يكون الخطاب الدينى بلغة قوية يفهمها المخاطب وتقنعه. والإسلام بثقافته الواسعة وبتعاليمه الرشيدة وبأحكامه العظيمة. وبلغته البعيدة عن الجمود الدينى والتحجر العقلى والتنطع المخجل. يستطيع أن يفهمه الغير.

فالإسلام بإمكاناته إن أحسن المسلمون عرضه. فسوف يفوزون باحترام الغير وخلاصة القول أنه يجب على المسلمين أن يعيشوا العصر ويتفهموا مشاكله وتطورات أحداثه ويتعرفوا على لغة غيرهم فإن من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

كما يجب عليهم أن يتعرفوا على لغة الإسلام دين الوسطية. فإن هم فهموا لغة غيرهم ولغة إسلامهم استطاعوا أن يخاطبوا الغير بما يستطيع فهمه ومعرفته وبهذا يستطيع الإسلام باتباعه أن يواجه النظام العالمى الجديد.

ورحم الله المفكر الإسلامى. مالك بن نبى الذى كان يقول: «إن التخلف الذى يعانى منه العالم الإسلامى ليس سببه تمسك المسلمين بالإسلام. وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لالتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين»(1).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

* * *

---

(١) هموم الأمة الإسلامية: ١٩٩.

توصيات ومقترحات

ختاما لهذا الكتاب أقدم التوصيات والمقترحات التالية :

أولاً : ضرورة توحيد الأمة الإسلامية فى وحدة جامعة على أساس العقيدة الإسلامية دون نظر إلى لون أو جنس أو لغة أو إقليم، وهذا يعنى : تطوير منظمة الدول الإسلامية لتكون أكثر فعالية وتكون قراراتها ملزمة لأعضائها .

ثانياً : ضرورة إنشاء محكمة العدل الدولية الإسلامية وتكون لها صلاحيات الفصل فى المشاكل القائمة بين الدول الإسلامية . كما يجب أن تكون أحكامها واجبة التنفيذ .

ثالثاً : إنشاء السوق الإسلامية المشتركة لأن اقتصاديات الدول الإسلامية يكمل بعضها البعض الآخر . وحتى لا تكون الدول الإسلامية كلها أو بعضها أسيرة لدول الغرب أو للبنك الدولى أو صندوق النقد الدولى الذين أغرقوا بعض الدول الإسلامية فى الديون وكثرة الفوائد .

رابعاً : جباية أموال الزكاة من الدول الغنية وتوزيعها على الفقراء بالدول الإسلامية الفقيرة .

خامساً : أن يقوم الأغنياء – أفرادا وهيئات – باستثمار فائض أموالهم فى مشروعات الدول الفقيرة .

سادساً : تطوير أجهزة الدعوة الإسلامية فى الدول الإسلامية وإعادة النظر فى تطوير الخطاب الدينى فى الداخل والخارج . وفتح حدود الدول الإسلامية أمام العلماء والباحثين لتبادل الخبرة فى مجال الدعوة الإسلامية .

سابعاً : إنشاء منظمة إسلامية للثقافة والتربية والعلوم تشرف على اختيار وتنفيذ برامج التعليم والثقافة والإرشاد والنشر فى الدول الإسلامية .

ثامناً: أن يقوم العلماء بمحاولة التقريب بين المذاهب المختلفة مع إظهار الاحترام لكل صاحب رأى أو فكرة. والقضاء نهائياً على كل ألوان الاتهامات وتسفيه الرأي المخالف والتماس العذر لصاحبه..

تاسعاً: التوسع فى استخدام قاعدة الشورى بالشكل والأسلوب الذى يناسب كل دولة وعدم فرض صيغة معينة على كل الدول. لأن لكل دولة ظروفها الخاصة.

عاشراً: توحيد السياسة الإعلامية للدول الإسلامية وتبادل الخبرات فيما بينها.

حادى عشر: إنشاء قيادة عسكرية موحدة للدول الإسلامية، يكون لها حق الدفاع عن أى دولة مسلمة يعتدى عليها.

أن الظروف الدولية الراهنة والمقبلة تفرض على الأمة الإسلامية أن يكون لها وجود على الساحة العالمية فى وحدة قوية مؤثرة. وإلا ابتلعت دولها الحيتان فاعتبروا يا أولى الأبصار.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

مصادر الكتاب

١ – القرآن الكريم

٢ – الكتب الستة والمسانيد والموطأ

٣ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير

٤ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى

٥ – أحكام القرآن لابن العربى

٦ – فتح القدير للسيوطى

٧ – صفوة التفاسير للصابونى

٨ – فتح البارى لابن حجر

٩ – شرح مسلم للنووى

١٠ – دليل الفالحين لابن علان

١١ – فتح المبين لابن حجر الهيتمى

١٢ – الزواجر لابن حجر الهيتمى

١٣ – إحياء علوم الدين للغزالى

١٤ – المهذب للشيرازى

١٥ – مغنى المحتاج الخطيب الشربينى

١٦ – بدائع الصنائع للكاسانى

١٧ – المغنى لابن قدامه

١٨ – بداية المجتهد لابن رشد

١٩ – الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت

٢٠ – الحقوق والواجبات — للدكتور محمد رأفت عثمان
٢١ – دولة الإسلام والعالم — حميد الله الحيدر أبادى
٢٢ – فقه السيرة — الشيخ محمد الغزالى
٢٣ – الوحدة الإسلامية — الشيخ محمد أبو زهرة
٢٤ – التكافل الاجتماعى فى الإسلام — الشيخ محمد أبو زهرة
٢٥ – هموم الأمة الإسلامية — الدكتور محمود حمدى زقزوق
٢٦ – احذروا الأساليب الحديثة — الدكتور سعد الدين صالح
٢٧ – انتشار الإسلام بحد السيف — الدكتور / نبيل لوقا بباوى
٢٨ – عظمة الإسلام — محمد عطية الابراشى
٢٩ – الفقه الإسلامى وأدلته — دكتور وهبه الزحيلى
٣٠ – تعدد الزوجات — دكتور عبد الحليم عويس وزميله
٣١ – قضايا إسلامية معاصرة — المؤلف
٣٢ – الإسلام وأزمة الخليج (مخطوط) — المؤلف
٣٣ – مجلات : منبر الإسلام، الأزهر، بعض المجلات الدورية

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٨٥٧٠